الاتجـاه الفلسفي

كلما سار الانسان في طريق الحياة ، دفعه الفضول الى استنباط ما وراءها من معنى وقيمة. وكلما ألمّ الانسان ببعض وجوده ، ازداد تلهفاً على إكمال هذا الوجود بإكمال معرفته. غير أن دوامة الشؤون الآنية، والمهام اليومية ، تجعل الاتصال بالحياة اتصالا متقطعاً متناوباً ، والالمام بالوجود إلماماً نادر التحقق ، او تقضي عليهما قضاء الدوار على الوعي ، فتطمر كل بحث وتساؤل .

والحياة في وضع الرتابة لا تنبيء عن شيء من كنهها ، لانها تفقد معه كنهها. إن عنوانها الصراع : وهو دفقية وتجدد ، لانه حرب على الفناء والعدم ، أي على الركود .

لذلك كانت أفصح مواقف الحياة وأبلغها تعبيراً ، هي مواقفها النهائية. فأجدى بلاء لها هو ما تركز في حالة الموت، في النشوة المطلقة، في الحزن العميق، في الانفعال الشديد، في التنبه المحتدم الذي يرافق عراكاً ضارياً. في هذه المواقف، تتعرى الحياة من صدأ غيبوبة الجمود والتكرار ، وتقترب من الانسان أشد ما تقترب، لكي تكشف له عن أسرارها.

والناس عموماً مختلفون في النظر الى الاشياء ، متباينون في الاستجابة لها . على أنهم في المواقف النهائية يبلغون أقصى الاختلاف والتباين ، لانها تجلو جوهر الشخصية وتحدده .

وهكذا يبرز في الناس اتجاهان رئيسيان: اتجاه العالم، واتجاه الفنان. فاذا بالعالم يتناول الاشياء بمنظار الموضوعية المطلقة ، القائمة على الانفصال عن هذه الاشياء، والتنافر معها ، وعلى البحث عما هو مختلف عن الذات، وهو يحرص على موضوعيته ويتمسك بها ، لئلا تذوب شخصيته في الموضوع ، فينعدم الغرض من بحثه ، واذا بالفنان ينظر الى الاشياء بعين الذاتية المطلقة ، المتركزة في التجاوب والمشاركة والاندماج في هذه الاشياء ، وفي طلب الشبيه والمثيل للذات ، وهو يظل في بوتقة الشخصية ووجدانيتها ، يعتز بها ولا يحيد عنها .

والاتجاهان متعارضان كل التعارض ، وكلاهما يتجاهل الآخر ، ويسعى للتغلب على نفوذه ، والحلول مكانه .

هنا يأتي الفيلسوف ، وهو غريب عن الموقفين كليهما ، غير ملتزم بأي منهما ، لكي يمحصهما ويوفق بينهما: فاذا به يجد في نظرة العالم وفي ثقافته مادة ثمينة لاثراء الذهن وتوسيع مجال الفهم ، مما لا يتمتع به الفنان . ولكنه يشعر مع ذلك بان شيئاً ينقص هذه النظرة . إنه يكتشف أن المعرفة وليدة فكر الانسان ، وأنه هو صاحبها ، ولا يجوز ان نجردها من ظله : فلذاتيته الملتصقة بحياته الوجدانية ، شأن غير يسير فيها . ذلك ما يستقيه الفيلسوف من الفنان لكي يسد النقص في نظرة العالم . ولكنه إذ يقر الاتجاهين، سرعان ما يشتمل ولا يوفق ، ويصهر بقوة « المطلق » ولا يجمع وإنما يشق لنفسه اتجاهاً نسيج وحده ، فريداً في نوعه ، هو تاليف معقد أصيل ، كالتاليف الكيميائي الذي يختلف في الخصائص عن سائر عناصره .

ذلك هو اتجاه الفيلسوف، ولا سيما اليوم. فلقد خرجت الفلسفة عن موقفها الجاف القديم، اي العقلاني الصرف، كما كانت عند « ديكارت » و« كانت » و« هيجل » ، وقد حقق « برغسون » هذه الثورة، وبلغ بها « كيير كيجارد » الذروة ، حين أبرز اهمية شخصية الانسان بالنسبة الى المعرفة، فتم بذلك دخول الوجدان الى صومعة العقل الفلسفي، ليكسبه روحاً جديدة ، ودماً حياً .

إن شؤون الحياة منقسمة الى فئتين : القضايا، وهي التي نستطيع أن نملك زمامها بوساطة « العقل »، والمعضلات أو الأحاجي ، وهي مالا يطاله العقل ، لانها تشتملنا اشتمالا بدلا من أن نمتلكها ، ولذلك كان الطريق الوحيد الى سبرها هو « الاستبصار » L'intuition

فاذا استطاع الانسان أن يسلك هذين السبيلين، واذا اتخذ من مواقف الحياة النهائية موضوعاً لبحثه، او استوى فيها كتجارب حية له ، امكنه بذلك ان يفتح في نفسه كوة ، يطل منها ، ويتصل بمعاني الكون .

محمد وهبي

من اقنعة الحقيقة واقنعة الخيال

بقلم جبرا ابراهيم جبرا

استاذ في الاداب من جامعة كمبرج

هناك نظريتان في الفن اصحابهما دوماً على خلاف: الاولى، هي ان الفن آلة من آلات المجتمع، موقوفة على خدمته. ولذلك فان مهمة الفنان هي ان يعبر عن حاجات المجتمع وغاياته، ويسعى في تصويره بعيداً عن نزوات نفسه.

والثانية، هي ان الفن تعبير عن شخصية الفرد – عن شخصية الفنان نفسه. ولذلك فان مهمته هي ان يتغلغل الى اعماق وعيه ويستخرج منها صور الحياة، وينظمها في الشكل الذي يستسيغه هو، مستهدفاً القوة والجمال.

وفي رأيي ان النظرية الثانية اقرب الى الصواب، اذا كنا فعلا نتوخى من الفن الابداع والابتكار والاصالة التي تنجم عنها متعة التذوق. لان المجتمع يطالب بالرضوخ لكل ما هو شائع ومألوف، أي انه يحتم اتباع الشيء المتواضع عليه، خشية ان يختل الاستقرار الفكري بين الناس. في حين ان الفرد المبدع هو في اكثر الاحيان صاحب النظرة الجديدة، الذي برم بالاستقرار لانه لا يرى فيه الا الركود، والركود هو الموت. فالفنان في الواقع هو الذي يتحدى النظرة التقليدية لانه يرى في اعماقه رؤى جديدة، هي عنده اقرب الى حقيقة الحياة. فالحياة حركة ديناميكية ولا بد للفكر ان يتحرك معها اذا كان حيا.

وفي رأيي ايضاً ان عبقرية الامة هي مجموع عبقريات افراد معينين تطورت أشكال الحياة على ايديهم بواسطة ابداعهم لا ريب ان هناك ادباً شعبياً وفنا شعبياً كلاهما مستقر، يستقي منهما الفنان الشيء الكثير، سواء اكان من اتباع النظرية الاولى ام الثانية. ولكن عبقرية المبدع أمر فردي بحت، لن يستطيع المجتمع ان يخلقها، لانها هي التي تخلق نفسها – وان تكن جذورها في ثنايا الحياة الشعبية. وبعد مضي الزمن لا يفتخر ذلك المجتمع الا بهؤلاء المبدعين، لانهم هم الذين يمثلونه في النهاية ويميزونه عن غيره.

ومع ذلك فان اكثر المجتمعات تضيق ذرعاً بالمبدع لانه لا يقنع بما يقدم له المجتمع. ولذلك كثيراً ما يقرن المبدع بالثائر او المجنون. غير ان التوتر الذي يحصل بين الفنان او المجتمع يكون في الغالب في صالح الفنان، لانه يشحذ قريحته ويمضي عزيمته. ولكنه قد يحرمه من النجاح الاجتماعي لانه نجاح حالي، في حين يحتاج نجاحه الفني الى سنوات من الكفاح.

فالفنان وان يغلب على امره من حيث مقومات الحياة المادية، كثيراً ما ينتهي الى النصر حين تستقر آراؤه بالتدريج في نفسية المجتمع، فتغير الكثير من اساليب العيش وتذوق الحياة فيه والمجتمع لا يدري. ولذلك فاني أميل الى نظرية اوسكار وايلد التي يقول فيها ان الحياة تقلد الفن، بدلا من ان يقلد الفن الحياة. اي ان الاشكال والشخصيات التي يخلقها الفنان او المبدع تصبح فيما بعد نماذج يحذو حذوها الناس، فتغيرهم. وبذلك يدنو الفنان من درجة النبوة التي ينسبها شلي الى الشاعر. ولكنه كثيراً

ما يدنو ايضاً - على الطريقة البدائية الغابرة - من درجة كبش الضحية . ألم يكن البدائيون يقتلون انبياءهم لكي تخصب الارض بدمائهم ؟

***

العذول

ما اكثر ما ترد هذه الكلمة ومشتقاتها في اغانينا وقصائدنا وكتاباتنا . في حين لست اعرف مرادفاً لها في الانكليزية مثلا . العذول عنصر مهم من عناصر مجتمعنا : انا وانت وهو وهي - كلنا عذول . كلنا نفتح عيونتا شبرين لنرقب غيرنا، ونستنتج اقبح ما نريد . ولهذا يؤمن اكثر العامة « بالعين » ، عين السوء ، عين الحسود ، عين العذول ، العين التي تلاحقك من نوافذ المنازل، ونوافذ السيارات، ونوافذ الدكاكين . وهي العين التي تنزل بك المرض ، وتنغص عليك السعادة، وتنقض عليك في احلام الليل . وما العذول في الواقع الا هذه العين المحلقة الدوارة ، يتصل بها لسان خصب الاختراع، فالعذول والعين اذن شيء واحد ، وهما جزء من حياتنا .

ومنذ القدم اتخذنا الخرزة الزرقاء وسيلة نتقي بها شر العين، واتخذنا صورة اليد المفتوحة الاصابع نصد بها فعل العين وكذلك لجأنا الى التمائم والرقى نلبسها على صدورنا فتعصمنا من كل ما قد تنزله بنا العين من سوء . ولكن لم تنجح قط في التخلص منها ، كما لم نتخلص من العذول ، فرحنا نشتكي طوال القرون من كليهما . فلجأت الامهات الى اخفاء جمال اولادهن اتقاء للعين، وتكتم العشاق خشية العذال حتى اصبح الحب بين العواطف كالعورة من الجسم .

ونحن بالطبع لن نتخلص من هذا كله ما دمنا نعيش لنروي قصص غيرنا ذماً ونميمة . حياتنا فارغة ، فنملأها بمراقبة الغير ، لا نستطيع تحقيق رغباتنا المظلمة ، فنهاجمها في غيرنا . نجبن عن المخاطرة، فنعزوها الى الآخرين ونلومهم عليها - الى ان نحملهم في صورتنا . لن يرضينا ان نرى الحياة تتفتق عن الجديد والزاهي والصاع ، فنتهمها كلها بالمروق عن العرف والخروج على التقاليد. حياتنا مستنقع لا تعجبه المياه الجارية والشلالات الدافقة . عيوننا اتسعت احداقها من المراقبة حتى توجعت ، وما تعبنا من ملاحقة الغير من نوافذ بيوتنا وسياراتنا .

فلو اردت ان اصور المدينة في رمز واحد ، لصورتها عيناً كبيرة لا ترف يقطر منها القذى والسم .

***

ما

الذي نبغيه من الحياة ؟

اذا كنا يقظين ، نصغي الى الاصوات القريبة والبعيدة ، ونرى المسافات الشاسعة تحتوينا كذرات من الغبار في الجو ، ومع ذلك نشعر ان الاشجار تستمد عصارتها من دمنا والازهار تعكس الوان وجوهنا، وجدنا اننا في الواقع ملتقى قوى هائلة ، ولكنها دقيقة ، وان وعينا تغزوه الآلام فتزيد من حدته . وبذلك نصل في النهاية الى القول بان ما نبغيه من الحياة هو الاستزادة من الوعي بها عن طريق القوى الهائلة الدقيقة فينا - من حسية وعاطفية وفكرية - والاغراق في الحركة في اجواء الحياة الفسيحة ، نتعرض فيها لتقلبات الشمس والرياح ، الى ان نموت .

وعلينا في اثناء هذا ان نكثر من المطالعة، على ان نجعل منها عوناً في حركتنا الدائبة ، لا تعويضاً عنها . فتصبح الكتب مراجع للخيالة ، لا بديلة لها . فالامر الاهم هو هذه الحياة نفسها : التجارب ، الابتكار، التمتع بالجميل والقوي، التعجب، الاعجاب ، الحب ، الالم . والكتب انما تتحدث عن خصب هذه الاشياء ، او تلاعبها ، او تأثيراتها . وعلينا نحن ان نستمد منها عوناً في اختباراتنا ، الى ان تتصف حياتنا بشيئين مهمين : العمق والحركة .

***

ليس

في الدنيا ما هو ارفع فناً من الموسيقى . فالشعر لا بد له من كلمات مغموسة اكثرها في المبتذلات التي تقلل من روعته. والصورة مها عظمت محدودة الاشكال ولا تتحرك . اما الموسيقى فهي الفن الخالص الوحيد الذي يثير في استمراره وايقاعه وتموجاته اسمى متعة مجردة يعرفها العقل البشري . ولعل موسيقى « يوهان سباستيان باخ » احسن مثل على ذلك .

ان موسيقى باخ تسمو عن كل صغائر الحياة : إنها ضرب من النشوة المستمرة، لا يستطيع انسان ان يعبث بها او يفسدها. فاذا كان هناك ما قد صنع للروح ، انما

هو هذه الموسيقى . بل هي في الواقع اكثر من ذلك . فالناي والكمان والبيانو مثلا « في كونشرتو براندنبرغ الخامسة » اذ تتحاور مع الاوركسترا ، لا تخاطب الروح فحسب . انها تخاطب كيان المرء باجمعه . انها تخاطب ذكرياته وآلامه وافراحه انها تخاطب شخصيته بكاملها .

ولذلك قال شوبنهاور : « ان الفنون جميعها تطمح الى الحالة الموسيقية » .

***

لقد حل « الفلسطيني التائه » محل « اليهودي التائه » فصرت ترى الفلسطيني يضرب في كل بلد ، يحمل عبء ماضيه بذكرياته واحزانه ، يروح ويغدو في طلب الرزق وشيء من الاستقرار ، ومخاوف الجوع ترفرف فوق رأسه كالجوارح . انك تراه في شوارع بيروت ودمشق وبغداد والقاهرة ، تراه في الخليج الفارسي والكويت والصحراء العربية، تراه في طرقات لندن ونيويورك تراه في الباكستان واستراليا ، تراه في ليبيا والسودان . لقد اصبح رمزاً لامة انقسمت على نفسها ، ولم تلتئم اجزاؤها .

ويجد الفلسطيني التائه ، بحكم ماضيه وذكرياته ، صعوبة كبرى في الاستقرار في اي مكان. وغالباً ما يكاد يمد له جذوراً في الارض التي أوى اليها ، حتى تمتد اليه يد من حيث لا يدري ، فتجتثه وتلقي به في خضم من عدم الاستقرار وخوف الجوع من جديد . فهو « فلسطيني » وهو « لاجيء » و « ما اقبح هذه الكلمة ! » وهو لسبب ما بارز الظهور اينما حل . ولذلك كلما فعل شيئاً عرف الناس به في الحال، وقالوا : « افلسطيني، و يفعل ذلك ؟ » كأن « ذلك » مقصور على غير الفلسطيني فقط ! ويعرفون انه ، رغم ما حل به من تقتيل وتشريد ، أبي شديد الاباء ، فخور بذكائه ومقدرته ومعرفته ، وأن اي تعريض بكرامته لن يزيده الا كبرياء وأنفة .

***

من السخافات المؤذية الشائعة بين الناس اليوم ، حبهم لاطلاق التسميات السياسية او الفنية جزافاً على الادباء والفنانين . كأن يقولوا ، فلان وجودي ، او سريالي ، او رمزي او فاشستي ، او ما هو شر من ذلك ، دون ان يعرفوا مبدئياً ما هي بالضبط الوجودية او السريالية او الفاشستية او غيرها . والغريب انهم يطلقون احياناً تسميتين متناقضتين او اكثر على نفس الشخص !

ولن أنسى كيف قابلت مرة شاباً يحمل شهادة جامعية ، فقال لي إنه يقرأ كتاباتي باستمرار ، فاكتشف انني وجودي. وقد دهشت لذلك القول، لانني حتى ذلك الحين ما كنت اعرف عن الوجودية الا اشياء قليلة جعلتني ارى فيها حركة من حركات اليأس ، وكنت في الواقع قد هاجمتها في اكثر من مكان في كتاباتي.. فلما سألته ما الذي حدا به الى ذلك الظن ، قال : « ما في كتاباتك من القلق Angoisse » فاجبته قائلا: « ولكن ما اكثر عنصر القلق في كتابات عشرات المؤلفين من عصور مختلفة بله العصر الحاضر ، فهل نسميهم وجوديين ؟ ألا يجب على الوجودي ان يؤمن بمسائل كثيرة اخرى هي من صلب الوجودية قبل ان نسميه كذلك ؟ انني اكتب حراً من كل مدرسة او اتجاه . ان ما اكتبه استوحيه من ايماني بقيمة الفرد وكرامته واهميته . وما المجتمع الخير الا مجموعة افراد خيرين . فلندرس الفرد في ظروفه المتباينة، ولنحلل دوافعه الظاهرة والخفية، ولنتعمق في وعيه ، لعلنا نجد ما الذي يعتوره من ضعف او نقص ، وما الذي يمتاز به من قوة او خيال ، دون ان نأبه للتسميات الجارية » .

فقبل ان نتسرع في استعمال هذه الالقاب التي لا نهاية لها ، علينا بدراستها وفهمها اولا ، كما ان علينا ان ندرس الاديب الذي نريد التعليق عليه دراسة مفصلة . والا نكون ادق تفكيراً بكثير من هؤلاء الآلاف الذين لا يستقون المعرفة الا من ثرثرات الصحف. واذكر ما قالته احدى هذه الصحف يوماً في تعليقها على بضعة رسوم كنت عرضتها في احد المعارض: « ان هذه الرسوم تعبيرية سريالية، تظهر فيها الرمزية والانطباعية. » هل من لغو أجوف من ذلك ؟

بغداد جبرا ابراهيم جبرا

خواطر وتمحيصات لغوية

بقلم الأب مرمرجي الدومنكي
احد اساتذة المعهد الكتابي والاثاري الفرنسي بالقدس
وعضو المجمع العلمي العربي بدمشق

كان قدماء الشعوب يقدسون اللغة . معتقدين اياها وحياً نازلاً من العلاء ، لاعتقادهم ان الانسان اذ كان عاجزاً عن التكلم من تلقاء ذاته ، قد افتقد الى ان يمن الله عليه بموهبة النطق . وكان الربانيون من اصحاب الاسرائيليات التلمودية يزعمون ان العبرية كانت لغة آدم وحواء في جنة عدن . وانها لغة الله وملائكته ـ كما لو كان للعلي والارواح السماوية اجسام مجهزة باعضاء النطق ـ وانه سبحانه وتعالى مزمع ان يخاطب بهذا اللسان مختلف امم البشرية ، يوم يدينهم في وادي يوشافاط الواقع في ضواحي القدس الشريف . اما اليوم فلم يعد من قائل « بوحي اللغة وتوقيفها » . اذ ان العلم الحديث يثبت ان التكلم خاصة طبيعية في ابن آدم . قائمة على ثلاثة اركان . اولها : العقل المولد الافكار . ثانيها : اعضاء النطق التي تمكنه من ابراز الاصوات المعبر بها عن افكاره في الخارج . ثالثها : الحياة الاجتماعية المتصف بها عامة البشر ، والمحتاجون فيها الى التعبير عن خواطرهم لامثالهم في المعاطاة لهم . في شتى الاحوال العارضة لهم .

الاداة المهمة للتعبير البشري هي الاصوات اللغوية . لكن ليس من علاقة طبيعية وضرورية بين الاصوات والافكار . لان الاصوات بطبيعتها مجردة . انما تنشأ المناسبة بين الافكار والاصوات اولا من باب المصادفة . ثم عن سبيل التقليد والنقل والاستعمال . ومن ثم بفعل الارادة والتواطؤ . واول هذه الاصوات هي الاصوات الانسانية الغريزية . اي غير الارادية . كالصراخات ، والهتافات والمناغاة . بيد هذه الصراخات او الاصوات لا تعتم ان تصبح ارادية في الانسان . وبقوة الارادة تتقرر العلاقة بين الفكر والصوت . فيصبحان متلازمين .

ان الانسان انما يتكلم باصواته الخاصة ، لا باصوات غيره ، كاصوات الحيوانات ، ودوي الموجودات المادية . اما ما يدعى « حكاية اصوات » (Anomatopée) فما هو الا تقليد الانسان لهذه الاصوات المذكورة التي يسمعها ، فيحاكيها باصواته الخاصة الناشئة عن اعضاء نطقه ، والتي يبدأ في سمعها قبل سماعه غيرها . مما ينجم عنه ان مصدر اللغة ليس الا المرء ذاته ، وانه لم يتلقنها من الحيوانات او من الكائنات الاخر . زد على ذلك ان هذه « حكاية الاصوات » ، اصوات البهائم وغيرها ، ليست بالحقيقة سوى توهمات . اجل ان للعجماوات اصواتاً ، وللموجودات الجامدة دوياً . بيد ان البشر السامعين هذه الاصوات ، والمحاكين لها بقوة ارادتهم واعضاء نطقهم . انما يحاكيها كل قوم منهم حسبما يتوهمونها ، اي باختلاف وتضارب . فللريح مثلا صوت واحد لم يتغير منذ وجدت الريح . وللاسد صوت واحد ، منذ خلق الاسد . لكن لكل صوت من هذه الاصوات مقابل خاص ينجم عن خصائص كل قوم ، وكل لغة من اللغات . دونك مثلا من مئات الامثال . صوت الفرس في العربية « صهيل » وفي الفرنسية Hennissement وفي الانكليزية Neighing . وفي الايطالية Nitrito . وفي الالمانية Wiehern . وفي العبرية : «صاهيل» . وفي السريانية «صهلا» . وفي الاكدية Nagâgu . وفي اللاتينية Hinnitus . وفي الحبشية Neqâw . وفي اليونانية Kremetismos فهذا صوت الفرس غير المتغير في الحيوان المذكور قد تغير في كل من هذه الالسن حسبما توهمه اصحابها ، وتمكنوا من النطق به طبقاً لميزات كل لغة من هذه اللغات . بمعزل عن هذا ، فالعربية يدل فيها اللفظ الواحد على اصوات مختلفة ومتعددة . من ذلك « القبقبة » : صوت الاسد ، وصوت انياب الفحل ، وصوت جوف الفرس . و « الكهكهة » : صوت الاسد ، والبعير . و «الخفخفة» صوت الحبارى ، والضبع ، والخنزير ، و «الطنين» :

صوت الذباب ، والطست ، والناقوس ، والجبل . و «الخرخرة» صوت الماء ، والريح ، والسنور ، والنائم ، والمختنق . كل ذلك دليل على كون حكايات الاصوات توهمات.

تقسم الاصوات اللغوية الى قسمين : اولها يشمل «الصائتات او المصوتات » Voyelles الناشئة عن خروج الهواء من الرئة ، وعبوره خلال الحنجرة والفم ، دون اصطدام بعائق . ثانيها يحوي «الصامتات او المصوتات» Consonnes المتأتية من اصطدام الهواء الخارج من الرئة باعضاء النطق ، اي الحنجرة ، الفم ، واللسان ، والشفتين . ومن طبيعة « المصوتات » تعذر التلفظ بها دون « المصوتات » .لان الكلام متوقف،ليس على الحروف المنفردة ، بل على المقاطع المركبة من هذين الضربين من الاصوات . والمقاطع على انواع : منها مفتوحة ، ومنها مطبقة ، ومنها مشبعة . واكثرها رساس ثنائية .

بعد ان تمكن الانسان من ابراز الاصوات الارادية،وصوغ المقاطع المؤلفة منها الكلمات ، توصل الى ربط الالفاظ بالمعاني المتولدة من افكاره . وعقيب اطلاقه المدلولات الاولية على الرساس Rases والاصول Racines ، عمد الى وسيلة الاشتقاق Dérivation ، اي اصدار كلمة من كلمة اخرى ، بدأ من «الثنائي الخفيف» الى «الثنائي المثقل او المضاعف» والى «الثنائي المكرر او المطابق» ثم الى الثلاثي ، والرباعي ، والخماسي . وقد اتخذ لذلك طريقة طبيعية معقولة ، وهي طريقة الانتقال من حيز المحسوسات الواقعة تحت حواسه، الى حيز المعقولات، والمجردات والوجدانيات. ومن المداليل الحقيقية الى الفحاوي المجازية .

كثيراً ما يقال في عصرنا «ان اللغة كائن حي » فمن ثم قابل التطور والتكمل في سبيل الارتقاء والتوسع. بيد في هذا القول نظر لان اللغة، في حال ذاتها، ليست الا مجموعة اصوات.وليست هي الحية والمرتقية، بل الانسان المستخدم هذه الاداة الجامدة، هو هو الحي بالحقيقة والقابل لهذا التطور والرقي.فاللغة اذاً تابعة المتكلمين بها . فان هم رقوا ، رقت.وان هم انحطوا ، انحطت. وان هم انتعشوا فنهضوا ، انتعشت هي فنهضت. ولذا اقتضى ان تجاري اللغة سير الحياة البشرية .والا جمدت فتحجرت،فاصبحت اداة غير نافعة ، مصيرها الى الزوال والاضمحلال .

على ان الجدير بالملاحظة ، من الناحية الاخرى ، هو ان اللغة ليست بمثابة عملية حسابية ، رياضية ، ولا هي شبه قالب تصب فيه المعاني والالفاظ،فتخرج مضاهية بعضها بعضاً جد المضاهاة دون ان يعتريها ادنى تغير او تطور ، اذ ان قواعد اللغة متوقفة على الاستعمال ، او التداول المستند بدوره الى الظروف العضوية ، والمكانية ، والزمنية ، والشخصية ، والاجتماعية ، ومن ثم كان الاعتماد في اللغة على السماع . وان عم السماع ، اضحى قياساً مبنياً على الغالبية ، وغير ناف الشذوذية . مما يلزم معه بوجه عام ، الوقوف عند الوارد في المعاجم ، او في آثار الأئمة . فلا يجوز اثبات ما لم يرد ، او احياء ما يسمونه « مماتاً » الا لداع معقول ومفيد . والا لاضطررنا مثلا ان نقول « ودع ووذر » او ان نستعمل المئات من الاصول الثلاثية المجردة ، غير الواردة في امهات المعاجم ، وقد وردت مزيداتها فقط ، او ان نثبت لكل مجرد كل المزيدات التي لم يذكر ولم يستعمل الا جملة منها ، تارة لمجرد واحد ، وطوراً لمجرد غيره .

من اللازب الا يعزب عن بال اهل البحث في اللغة ان الالفاظ ليست تحديدات فلسفية منطقية كاملة من جميع الوجوه، ولا هي توضيحات ولا اوصاف مسهبة . انما المطلوب والكافي للتعبير والاستعمال ان تكون اللفظة رابطاً يقرن المعنى بالشيء المتخذة هي للدلالة عليه، على ان كل مفردة متضمنة مدلولا اولياً اساسياً يضاف اليه معان ثانوية . فالتحديد .من شأنه تبيان كل الخواص او اهمها بتفصيل . اما الكلمة فيكفيها ان تعني شيئاً من هذه الخواص دون البواقي . دونك مثلا كلمة « سيارة » فهي اولا مؤنث « سيار » الدال على المبالغة لفعل السائر . بيدهناك، فضلا عن ذلك ، معان آخر للفظة « سيارة » وهي اولا دلالتها على كل من الكواكب المتميزة عن النجوم الثوابت . ويفيدنا علم الفلك انها نجوم غير مضيئة بذاتها،بل بغيرها ، اي بالشمس، وانها تدور حولها . لهذا سميت « سيارة » . هناك فحوى آخر « لسيارة » وهو معنى « القافلة » اي الجماعة المداومة على السير حين عودتها من السفر ، زد على هذا ان قد وضع في عصرنا مدلول جديد « للسيارة » وهو اطلاقها على العربة التي لاتجرها الدواب كالسابق ، بل تجري من ذاتها بقوة البخار . فالفكرة العامة الشاملة كل معاني « السيارة » هي المبالغة في سرعة السير على حين ان في كل واحد من الاشياء المطلقة عليها كلمة «السيارة» مدلولا خاصاً لا وجود له في الآخر «فالسيارة الكواكب»هي نجوم . و «السيارة القافلة» قوامها الناس المسافرون.و «السيارة العربة»هي اداة للنقل مصنوعة من حديد يحركها محرك بخاري.

استناداً الى هذه المبادىء ، والى قواعد الاشتقاق في اللغات

عموماً ، وفي العربية خصوصاً ، قد وضعت المصطلحات في القديم وبموجبها يلزم ان توضع المصطلحات المستحدثة . فهناك اسم المكان الدال على وقوع الفعل في موضع من المواضع ، يصاغ من الثلاثي المجرد على وزن « مَفعل » . وهناك اسم المكان المطلق على وجود اشياء كثيرة في احد الامكنة . فاذا استعملنا لفظة « مكتب » عنينا بها اسم المكان الذي يكتب فيه او تلقن الكتابة . واليوم تستعمل هذه الكلمة للدلالة على محل شغل اهل التجارة . او ارباب الوظائف في المصالح الحكومية ، ويقابلها Bureau او Office . فان كان « مكتب » اسم مكان لاداء الكتابة ينشأ عنها ، فهل يمكن ان يطلق في الوقت عينه على « مستودع الكتب » Bibliothèque او « محل بيعها Librairie » فيقال لترجمة Bibliothèque Nationale « المكتب الاهلي » ؟ ان الواقع يخالف ذلك ، كما تخالفه قواعد اللغة القائلة : ان اللفظة الواجب اتخاذها للدلالة على « مستودع الكتب ، او محل بيعها » لا يمكن ان تكون « مكتب » بل « مكتبة » ، لان المعنى المفرد المتصفة به « المكتبة » هو وجود الكتب الكثيرة فيها . ولهذا المدلول وزن خاص في اللغة ، وهو وزن « مفعلة » .

وكذا القول في « متحف ومتحفة » . فان « متحف » ليس له مجرد ثلاثي يصاغ منه . اذ لا وجود في المعجمات لمادة « تحَف » انما الوارد هو المزيد « أتحف » واسم المكان المصاغ منه هو « مُتحف » الدال على محل وقوع فعل « الاتحاف » اي الاهداء . وهذا لا يفي بالمرام . لان كلمة Musée ، المراد استحداث مقابل لها في العربية ، تحد في المعاجم الاجنبية بمثل هذه العبارة :

« Musée : Grande collection d'objets et de documents relatifs aux arts et aux sciences. »

وبهذا التعبير الآخر :

Musée : Lieu destiné à rassembler les monuments des beaux - arts et des sciences et des objets antiques.

والجدير بلفت النظر هو ان الفقرة المهمة في التحديد هي : Grande collection ثم Lieu destiné à rassembler . مما دل قبل كل شيء على مجموعة ، اي كثرة من الآثار الفنية او العلمية ، لا سيما القديمة منها ، توضع في محل خاص . وهذا هو بالحقيقة المعنى الاولي في لفظة Musée كما ان فكرة « وفرة الكتب » هي المراد الاول من كلمة « مكتبة Bibliothèque » . ولا بأس ان تولد وتطور فيها ، او اضيف اليها معان أخر . فاضحى هذا الضرب من المحلات معاهد ومؤسسات عظيمة خطيرة ، ذوات شعب ودوائر مختلفة ومتعددة تلقن فيها العلوم المنوطة بها ، وتعرض فيها الآثار او الكتب ، للجمهور المتردد اليها . مثال ذلك « متحفة اللوفر » في باريس . و « المتحفة البريطانية » في لندن . و « المتحفة الفاتيكانية » في رومة . و « المتحفة المصرية » في القاهرة . وكذا القول في مكتبات هذه العواصم الشهيرة . بيد ان المدلول الباقي فيها جميعها هو كثرة الاشياء ، اي « كثرة التحف » في « المتحفة » و « وفرة الاسفار » في « المكتبة » وهذا مما ينطبق ايضاً على مفردة Encyclopedie فان حدها في الفرنسية : « Ouvrage où l'on traite de toutes les sciences et de tous les arts » . فجاء ادق حرف ينظر اليها في العربية حرف « معلمة » على وزن « مفعلة » ، اي اسم المكان او الكتاب الحاوي كثرة العلوم والفنون .

صفوة القول . كما انه لا يجوز استعمال « مكتب » المقابل Bureau محل « مكتبة » الناظرة الى Bibliothèque ، فكذلك لا يسوغ ، في نظرنا ، اتخاذ « متحف » عوض « متحفة » المقابلة كل المقابلة للفظة Musée المراد بها خصيصاً المحل الذي تكثر فيه التحف* كما انه لا يقال « معلم » عوض « معلمة » . وكما انه لم يستعمل احد من القدماء ، ولا من العصريين « مأسد ، ومسبع ، ومأبل ، ومرنب ومكلب » محل « مأسدة ، ومسبعة ، ومأبلة ، ومرنبة ، ومكلبة » للدلالة على المواطن التي تكثر فيها الاسود ، والسباع ، والابل ، والارانب ، والكلاب .

اخيراً ، في باب التعريب ، هناك قاعدة ، كثيراً ما لا يراعيها فريق من الكتّاب والمترجمين . وذلك بجمعهم بين اداة النسبة الفرنجية ، واداة النسبة العربية . مما لا داعي له ، وهو حري بالنبذ من ذلك قولهم : بلشفيكي ، بلشفيكية ، ميكانيكي ، كلاسيكي ، رومانتيكي ، رومانتيكية . باسفيكي الخ او اميركاني ، اسبانيولي ، ايطالياني ، دومنكاني ، فرنسيسكاني ، كرملتاني ، بندكتاني ، دبلوماسي ، دبلوماسية ، فاشستي ، فاشستية الخ . والصواب حذف الاداة الاجنبية والاستعاضة عنها بالاداة العربية ، وهي الياء المشددة كقولنا : مصري ، بغدادي ، لبناني ، سوري ، فرنجي ، عبري الخ . ولذا فالاوفق والاصوب ان يقال : بلشفي ، بلشفية ، ميكاني ، كلاسي ، رومانتي ، رومانتية ، باسفي الخ ثم اميركي ، اسباني ، ايطالي ، دومنكي ، فرنسيسي ، كرملي ، بندكتي ، دبلمي ، دبلمية ، فاشي ، فاشية .

الاب مرمرجي الدومنكي   القدس

---

* يراجع في ذا الشان هذه المجلة (ابريل ١٩٥٢ ص ١٣ ي) و (يونيو ١٩٥٢ ص ٦٢)

« قديس » في حارتنا !.

بقلم يوسف الشاروني

قال الراوي : كان عم اسماعيل رجلا فيه من طبائع الناس الخير والشر ، له لحظات فرحه ولحظات غضبه . وانا اعرفه منذ زمن طويل ، منذ كنت صبياً العب مع اصدقائي في حارتنا . واني لاذكر كيف راقبنا مجيئه مع عروسه الشابة ليسكنا طابقا في حارتنا هذه ، وكيف تتبعنا عملية نقل الأثاث ، وتعلقنا خلف العربات التي كانت تحمله ، وكيف كانت أمي والجارات ينظرن من خلف الشبابيك الى المراتب الفاقعة والحلل النحاسية والمقاعد المستطيلة الخشبية كأنما يحاولن ان يعرفن قيمة العروسين من نوع الاثاث ومقدار جودته .

ولقد سمعهما سكان حارتنا يتضاحكان حيناً ويتشاجران حيناً كما يفعل معظم الازواج . لكن مجرد التقائي العارض بهذا الرجل كان احياناً ما يدفعني الى الاحساس بشيء غامض مسيطر كأنما انا تحت رحمة انفعالاته ونزواته ، رغم انه لم يحدث منه ما يؤيد هذا الاحساس سوى بريق يتخطف في عينيه لا يلبث ان ينقل القلق الى عيني .

ولقد حدث ذات يوم ان تشاجر عم اسماعيل مع زوجته الشابة ولما يتم على زواجها العام ، فضربها في الحائط بعنف ، وكانت توشك ان تضع طفلها الاول . وكما سمعت ـ فيما بعد ـ انها كانت مريضة بضعف القلب . فلما رفعها الى الحائط للمرة الثالثة حتى وجدها قد سقطت بين يديه . ويبدو ان عم اسماعيل ادرك ان الاشغال الشاقة ـ على اقل تقدير ـ هي جزاؤه ، فاهتدى الى حيلة تنقذه من السجن .

اني واثق انها لم تكن سوى لحظة من لحظات الغضب الهائل ، رغم ان أحداً لم يسأل ماذا كان الامر ولا ما هي اسبابه ، ولقد تصنع الجنون اثناء المحاكمة ، وقرر الطبيب ان به بعض الشذوذ الخطر ، فأحيل الى مستشفى الامراض العقلية . نعم ، نعم ، اني اعرف ان الانسان يجب ان يكون اكثر ضبطاً لعواطفه وانفعالاته ، والا يبلغ به الشطط ان يضرب زوجه الحامل حتى الموت . ومع ذلك فنكاد تكون لكل منا هذه اللحظات . لكن حظ عم اسماعيل ـ السيء او الحسن ـ هو ان هذه اللحظة قد فرضت نفسها عليه فيما بعد . فرضها هو أولا على نفسه بتصنعه الجنون ، ثم اكده الطبيب وقرار المحكمة ، ثم وجوده في مستشفى الامراض العقلية مدى خمس سنوات ـ وعلى هذا النحو الذي ما توقعه ـ قد أذل نفسه فما أضحى له طاقة للتهجم على أحد .

وعندما غادر المستشفى عاد الى حارتنا يريد ان يؤجر مسكناً بها ، فما له ملجأ ولا اصدقاء الا هنا ، وما فكر في الالتجاء الى اقاربه ولا ان يعرفوا عنه لانه كان يخافهم ، فقد كانت زوجته التي قتلها ابنة عمه ، لا تنسَ هذا . ولم يجد سوى غرفة بمنزلنا تجاور السلم . وطفق يبحث عن عمل . وكان يبدو متبرما بالحياة خائفاً من وجوده . ما يكاد يبدأ العمل حتى تجري وراءه الحقيقة المخيفة بأنه كان في مستشفى الامراض العقلية ، وانه ذبح زوجه الحسناء ، وفي رواية أخرى انه أكل منها ـ وما تكاد الحقيقة والاشاعات تصل الى مقر عمله حتى يخشى كل فرد ان يلحق ـ دون غيره ـ بمصير الزوجة اذا غضب معه اسماعيل او انفرد به في زاوية هنا او زاوية هناك . ويبدأ التهامس حوله



والعيون تحدق في جزع منه. فما الهدوء والتجهم اللذان يكسوان وجه الرجل الا الرماد الذي يخفي وراءه الجنون واللامعقول، او المهلك والمخيف. وما ينقضي الشهر حتى يعي عم اسماعيل بما يشاع حوله، ولا يعود يطيق العمل والمكان فيتركه باحثاً عن غيره.

وهكذا أصبحت حياته قلقاً وتجوالا، فاذا كان المساء دخل احدى الحانات، فلا يكاد يدخلها حتى يسمع همساً يعلو حتى يصبح لغطاً، فاذا شرب كأساً او كأسين صاح في الجميع: والله العظيم انا لست مجنونا، ابداً لست مجنوناً. وبذا أخذت حاله تسوء. وكلما حاول ان يقنع احداً بأنه ما كان مجنوناً في يوم ما، كان هذا دليلا جديداً لدى مستمعه على جنونه حتى ليخفي ابتسامة تكاد تنفرج عنها شفتاه. وقد يجلس الى احدهم يحدثه فيتقبل الرجل حديثه ويناقشه، حتى اذا ادرك من خلال الحديث ان هذا ليس سوى عم اسماعيل الذي ترامت اليه الاقاصيص عنه، حدق فيه محدثه وهز رأسه، فقد فقدت الكلمات فجأة معانيها وكأنما أصبحت تخرج من رأس فارغ، وهذه اليد قد تمتد اليه في أية لحظة لتذبحه او تأكله. فيتحين اول فرصة ليتخلص منه. وهكذا كان وجوده في مكان ما معناه فزع خافت يشوب طمأنينة الناس وأمنهم، واثارة خفية لكفاح داخلي بان هذا الرجل لا يثير الضر ولا يدعو الى الريبة ولكن جواره لك بالرغم من ذلك يستلزم كثيراً من الحيطة والحذر.

وكنت في هذه الاثناء قد كبرت وتزوجت وانجبت لي زوجي طفلا وطفلين. ولم يكن عم اسماعيل يقص علي ما يعانيه قليلا ولا كثيراً، ولكن كنت اسمعه واحياناً ما اشاهده. واعتقد ان عم اسماعيل يدرك انني لا اعتقد بجنونه، وكان ذلك من خلال الاحاديث القليلة التي نتبادلها احياناً، ومن خلال نظراتي وحركتي المطمئنة الدائمة الى جانبه وانا ادخل واخرج من مسكنه الذي يحتل هو غرفة خارجية منه، لكن حدث ذات يوم اني كنت اقرأ كتاباً يبين فيه مؤلفه ان ليس بين الجنون والتعقل حدود فاصلة، وثمة تدرجات دائماً بين الصحة والمرض كالتي بين البرودة والسخونة وان اكثر المجانين تكون تصرفاتهم سليمة في كل شيء الا في جانب واحد اذا اثرتهم منه بدت عليهم اعراض المرض. فلماذا لا يكون العم اسماعيل مجنونا بهذا المعنى اذن؟ ان احداً لا يشير امامه الى حادث زوجه، والجميع يتجنبون ذلك بحدسهم، واذن فانا اعرف الجانب المجنون في العم اسماعيل. وقد حدث في ذلك اليوم بالذات ان جاء عم اسماعيل وانا مستلق مسترخ على مقعدي المتأرجح يسألني على غير عادته ما اذا كان هو حقاً مجنوناً كما يقول له الآخرون. وكان يبدو عليه يأس وألم هائلان، والبريق القلق قد ازداد تألقاً في عينيه، حتى انني احسست الخوف الحقيقي لاول مرة حين نظرت فيها. ولم استطع ان اعرف من ذا الذي اثار هذا الاضطراب العميق في حياة الرجل، ولكن خوفي منه جعل لي رغبة حقيقية وخطرة الى تصديق كل ما كان يقال عنه. ويبدو ان كل ما كان يرغب فيه هو ان انفي عنه التهمة ببساطة، لكنني لم افعل، بل قلت له في سذاجة كل ما قرأته اخيراً في الكتاب، حاسباً بذلك انني انما اوضح له ان ليس ثمة شيء اسمه الجنون بالمعنى الذي يفهمه الناس، لكنه فهم انني اردت ان اخبره بلغة غير مباشرة إنه كان على درجة من درجات الجنون. ويبدو ان اعماقنا تنكشف مهما اردنا اخفاء ما بها فانا في الواقع ما نقلت اليه الا ايماني الذي تزعزع في تعقله.

ومنذ ذلك اليوم قرر عم اسماعيل مغادرة دارنا واتخاذ الخرابة المجاورة مسكنا له رغم ما ابديت له من شديد الاعتراض وهو اعتراض كنت اود في اعماقي الا يستمع اليه، فما عدت اطمئن منه على زوجي واولادي. ولم يكن قد افلح في الاستقرار في وظيفة ما. وكانت حاله المالية قد ساءت. وكما اني كنت آخر من فقد ثقته في الرجل، فيبدو انني انا ايضاً كنت آخر من فقد فهم الرجل ثقته. وهكذا انفصل عن عالم الاحياء حيث انني كنت في الواقع الخيط الاخير والوحيد الذي يربط بينه وبينهم.

واصبح يتعيش من الشحادة . ومع ذلك فقـد ظلت غرفتـه بدارنا زمناً وهي لا تزال له، يلجأ اليها في الليالي العاصفة الممطرة. واصبح جنونه هو ان ينفي عن نفسه تهمة الجنون . ولم يعـد يعرف الواحد اكثر من الآخر ، فقد استوى لديه الاصدقاء والغرباء ، واصبح يحس انهم جميعاً من عالم الآخرين ، مجرد وجودهم امامه معناه اتهامه بالجنون ، فيدافع عن نفسه بكلمات يدهش لها من لا يعرفه. وهو يحس كانما هناك خطر هائل موشك ان ينقض عليه ويمكن لهذه الكلمات ان تدفعه عنه حتى يعبر بعيداً.

وكنت أحياناً ما اطل من نافذة بيتي على المنزل الخرب ؛ فارى عم اسماعيل يقوم من فراشه المهلهل ، ويطبقه في عناية ، ثم يشعل النار ، وقد وضع احطابها في مكان لا يصل اليه البلل ولا المطر اذا كان الوقت شتاء ، ثم يحمل الماء ليعد الشاي ؛ ثم اشاهده يخرج حافظته ويعد قروشه ومليماته ، ثم يبتسم ابتسامة كلها طمأنينة وارتيـاح . حتى لأحس ان العـالم كاذب ، وان جنونه فكرة في رأس الآخرين. وها هو ذا في وحدته كأعقل ما يكون واقدس ما يكون . وهكذا بدأ اتجاهي الجديد نحوه .

ولقد مات لي طفل ، وانجبت لي زوجي طفلا آخر ، وانا مشغول بعملي وقضاياي ، ولـكن ما يزال عم اسماعيل يحتل في تفكيري جانباً كبيراً وهاماً. وهكذا كان علي ان اقود سكان الحارة من ورائي نحو هذا الاتجاه الجديد . وكانت محاولة متواضعة لا تتعدى ان نوفر له طعامـاً أفضل وفراشاً افضل وكان اول من آمنت بفـكرتي هي زوجي التي جعلته يشاركنا بعض طعامنا فترسل اليه ممـا نأكل بغير ان يعرف . وشاركنا في ذلك بعض سكان الحارة . ولـكن الامور وصلت الى ابعد مما كنت اظن .

فقد أخذ عم اسماعيل يصبح اكثر هدوءاً واكثر تأملا كانما هو على وشك مشروع خطير ، وانطفأ من عينيه قليلا قليـلا ذلك البريق القلق . وأصبح أقل دفاعاً عن نفسه كانمـا جنونه يستحيل الى نوع من البله . اما سكان الحارة فكانوا يرون ان تغيراً حقيقياً وجديا ومجهولا يوشك ان يحدث في حياة الرجل. صارحني بذلك المعلم دعبس صاحب المقهى ، وصارحتني بذلك جارتنا القابلة الست ام دهب ، ثم صارحتني بذلك زوجي نفسها

وهكذا مضى سكان الحارة يكتشفون القديس في المجنون . وكان ذلك الاكتشاف بطيئاً كانه غير مقصود في اول الامر . والواقع ان عم اسماعيل لم يمر بفترة العبط الا وقتاً قصيراً جداً، فقد اصبح سكان الحارة اكثر احتراماً له وتفاؤلا به ، يتحينون الفرصة لتقديم شيء من ضروراتهم له ، يكفرون بذلك عن خطايا كثيرة ومتشعبة مختبئة في نفوسهم . وقد منحته لحيته التي دب اليها البياض شيئاً من مهابة ، ثم سرعان ما اسرعت الامور باكثر مما توقعت .

فقد حدث في احدى وقفات عيد الاضحى ان رات جارتنا ام نادي في منامها رجلا بثياب بيض من قمة رأسه حتى اصابع قدميه ، يطلب منها في صوت أجش ان تقاسم هي زوجها عم اسماعيل ما يأكلانه من لحم العيد ، وبذلك تنال امنيتها.ولم تكن جارتنا ام نادي عاقراً بالمعنى التام،فقد انجبت في اوائل سني زواجها اربعة اطفال كان اولهم نادي ، وماتوا جميعهم ولم يتموا

العام ، ثم انقطعت عن الولادة منذ اكثر من خمسة عشر عاماً حتى اوشكت اخيراً على اليأس الخالص الذي لا يشوبه قلق ولا شبه قلق . فلما كان الصباح اذاعت القصة بين جاراتها ، وحرصت ان تفي ما تلقته من امر في المنام، فكنا نراها من شرفة بيتنا وهي تضع له الطعام ثم تمر بنا تزورنا لحظات لتروي لنساء القصة من جديد ، ثم تخرج مسرعة وهي تضع اطراف ملاءتها بين اسنانها ولقد مضى شهر وشهر ، فلما كان الشهر الثالث تحققت لام نادي معجزتها ، وبدا اهتمامها واهتمام حارتنا بشيخنا اسماعيل ، وثمة مسحة من القداسة اخذت تشيع على وجهه وتضيء روحه . وام نادي دائبة تحمل الى الرجل صنوفاً من الطعام والواناً من الاقمشة المرقعة المزركشة، فما اكتمل العام على حلمها حتى ولدت جارتنا طفلا أبت الا ان تدعوه باسم اسماعيل ، وقد اشفق بعض الخبثاء والمتشككين من الشباب ان يموت الطفل ولما يتم العام ، ولكن العام مضى والطفل في صحة وعافية. وهنا فقط آمنت جارتنا بشيخها وبقدرته. ووفدت نساء الحارات الاخرى يلتففن حوله يتبركن به ويطلبن المعونة منه .

وكنت انا ارقب كل هـذا والحظ كيف يكافح المجنون في حارتنا حتى يلتقي بالقديس. فقد بدا على الشيخ اسماعيل انه بدأ يسلك طريقاً صوفياً صارماً ويأخذ نفسه بالوان من الالتزامات كانما يجهد في سبيل الحصول على شيء حقيقي وضروري لوجوده ثم ما لبث ان احتل الميدان الصغير الحائل الذي يفضي الى حارتنا والتفع بمجموعة من الخرق المزركشة التي خاطتها له جارتنا ام نادي، ووضع حول رقبته سلسلة ضخمة كالتي يقيدون بها الاشقياء ثم مضى يدور في الميدان من الصباح حتى المساء وهو يردد آيات الله واسماءه الحسنى ويعبث بين اصابعه بمسبحة والناس يتحدثون عن معجزات وعن كرامات ، فثمة من تشفى وثمة من تلد وثمة من يعود اليها زوجها وكان قد انتوى طلاقها . ولقد اتت الحرب ودرت صفارات الانذار وكان سكان حارتنا جبناء يفقدون اعصابهم ويلجأون الى ما يشبه المخبأ باكين مولولين ، وشيخنا اسماعيل قابع في خرابته لا يتحرك ، وحارتنا لا تمس، وفي اليوم التالي يذيعون ان هذا ايضاً كرامة من كرامات الشيخ .

وحدث ذات يوم ان سافرت مع اسرتي الى شاطىء البحر، وانا اقص لاكبر ابنائي ما يشاع عن كرامات الشيخ ومعجزاته فلما عدنا وجدناه قد اختفى وهم يجمعون النقود ليقيموا له ضريحاً في الخرابة حيث امضى معظم حياته. وثمة من يقول ان المسئولين ارغموهم الا يدفنوه هنا ، ولكن جثته اختفت من مقبرتها بعد ايام قلائل من دفنه ، وهذه معجزة اخرى من معجزات الشيخ ودليل على رغبته الاكيدة ان يقيم بين سكان حارته .

ولقد استولت الاوهام حيناً عليّ وهم يوشكون ان يبنوا الضريح بجانب بيتي . فكنت احياناً ما انصت في الليل لعلني اسمع صراخ زوجه ـ الذي سمعته وانا طفل خلال احاديث الناس ورواياتهم ـ يعود مولولا ومرتفعاً في الليل .

لكن حدث ذات يوم ان اشترى شخص قطعة الارض، ولم يكن صاحبها من اهل حارتنا ، فحطم مشروع الضريح. وشاهدناه ذات يوم وهو يقبل مع احد المهندسين ليعاين الارض ، وكان يبدو عليه انه من رجال الاعمال الذين لا يملكون وقتاً للضياع ورمى الحارة بنظرة من خلال نظارته ، ولم يجرؤ احد من اهلها ان يتحدث اليه . ومضى يقيم عمارة ضخمة في حارتنا الصغيرة المتواضعة. ودخلت سيارات النقل تحمل الاسمنت والحديد والخشب . وما لبث ان وفد ساكنون من نوع جديد وغريب اشاع القلق والاضطراب في الانسجام الطيب الذي ظل يسود حارتنا زمناً طويلا .

وليس ثمة سبيل للمقاومة ، فلقد تقدمت بي الايام ، وكونت بعض الثروة. وها نـا انوي ان ازوج ابني في الايام القليلة المقبلة مقترحاً عليه ان يستأجر مسكناً في العمارة الضخمة المرتفعة التي تقوم حيث التقى المجنون «بالقديس» .

القاهرة — **يوسف الشاروني**

مروحة الغانية

الى تلك النسمات الندية السخية من مروحة الشاعر الخالد
مالارميه اهدي هذه الخفقة

☆

مروحةٌ ام نسمةٌ ساريهْ — تلثمُ شعرَ غادتي الغانيهْ
تحضدُ في نقلتها آهةً — تسفحها من يدها الواهيه
قد سرقتْ من قزحٍ قوسها — فانسربت الوانها الصافيه
وسلسلت خطرتها ضحكةً — عابرةً وبسمـةً ساهيه
وهدهدت تعِلّةً حلوةً — في صدرها وانكفأت شاكيه
وافتلذَتْ من طائرٍ ساحرٍ — جناحه وهوّمت غافيه
أيُّ شراعٍ تائهٍ في المدى — يهفو الى آفاقـه النائيه
يهيج موجتين في مَيسة — ناعمة ولفتـة حانيـه
فتنثني، في ظله، موجةٌ — تياهة وموجة زاهيه
خطوتها تذوبُ في همسة — عليلة نحيلة واهيه
جناحها ينحو الى ربوة — عارية او ربوة كاسيه
رفيفه اطيب من قبلةٍ — شهية سائغـة راضيه
ووسدت في غفوها راحة — سخيـة طريـة فاغيه
فأمرعت الوانها وازدهت — ونورت ورودها القانيه
تنفض في خفقتها موعداً — معطراً وفرصـة غاليه
تحار إن جاذبها مأملٌ — وتلتوي رائحة غاديـه
فتغزل النشوة في رعشة — عتية وغنجـة طاغيه
وتحبس اللهفة في نسمة — ساعية ونسمة ساريه
مروحة أم نسمة ساريه — تلثم شعر غادتي الغانيه

موسكو — بديع حقي

القصة والرواية في الادب المهجري

بقلم عيسى الناعوري



من المؤكد* ان ادباء العرب في المهاجر الاميركية كانوا من اول العاملين على انطلاق الفكر العربي الحديث من مكامن الجمود، والاقلام العربية من قيود التقليد والرجعية، فقد خدموا الادب العربي بتحررهم اكبر خدمة، ونفحوه باروع النفائس من انتاجهم الجميل، وقفزوا بنهضة الادب الحديثة قفزة عظيمة لم يعرف تاريخ الادب العربي لها مثيلا في قوتها وحيويتها وشدة تأثيرها. ولقد كتبوا في كل ناحية من نواحي الادب، فكان لهم في الشعر وادب المقالة، وتصنيف الكتب، آثار تدل على النضوج والعمق. وكذلك كان للادب المهجري حصة او مشاركة غير قليلة في الانتاج القصصي والروائي، سواء في المهجر الشمالي او الجنوبي غير ان هذا كان في الشمال اقدم في الظهور وفي النضوج منه في الجنوب. واول ما ظهر هذا النوع من الادب على اقلام جبران – اولا – ونعيمه والريحاني، ونسيب عريضه، وعبد المسيح حداد. وكانت آثارهم القصصية هي العامل الاهم في نضوج القصة الفنية في الادب العربي الحديث.

وتأييداً لهذا الاعتقاد أرى من المستحسن ان انقل هنا ما اورده الكاتب والناقد الادبي الكبير المرحوم اسماعيل احمد ادهم في كتابة عن توفيق الحكيم، في اثناء استعراضه لنشأة الفن القصصي الحديث في الادب العربي، فقد قال ما يلي: «لقد عني جبران بالقصة والاقصوصة في ادبه، وللمرة الاولى في تاريخ العربية تقف على قصص واقصوصات فنية. ومن الاهمية بمكان ان نقول ان قصة «الاجنحة المتكسرة» التي ظهرت عن نيويورك عام ١٩١٢، وقصة «العاصفة» التي نشرت في المجموعة السنوية للرابطة القلمية عام ١٩٢١ تعتبران النموذج الفني الاول للقصة العربية، كما ان «عرائس المروج» التي ظهرت عن نيويورك عام ١٩٠٦، و«الارواح المتمردة» التي ظهرت عام ١٩٠٨، بما تحتويانه من الاقاصيص، تضمان النموذج الاولي للاقصوصة العربية الفنية... وفي نفس الوقت الذي كان فيه جبران يفرض أدبه المستحدث على العربية، كان زميله في الرابطة القلمية ميخائيل نعيمه يعالج فن التمثيل بكتابة مسرحية عربية. وفي عام ١٩١٧ اخرج مسرحية «الآباء والبنون»... وفي هذه المسرحية نجح ميخائيل في حل مشكلة اللغة المسرحية، بان جعل الشخصيات المتعلمة تتكلم الفصحى، وغير المتعلمة تتكلم العربية الدارجة. وهذه المسرحية التي ظهرت عام ١٩١٠ في نيويورك على خشبة المسرح تعتبر مقدمة لطليعة الفن المسرحي.. وبينما كانت جهود نعيمه موجهة نحو المسرحية والاقصوصة، كان امين فارس الريحاني يعنى بالمسرحية والقصة في اللغتين العربية والانكليزية. ولقد نجح امين في تقديم قصتين عربيتين – زنبقة الغور، وخارج الحريم – قبل الحرب، كما كتب تاريخ حياته في الانكليزية في «كتاب خالد» على نمط قصصي، ووضع مسرحية «وجد» بالانكليزية». ويستطرد الدكتور ادهم فيقول: «ويمكننا ان نلخص القول في مدرسة المهجر بانها كانت اول مدرسة قوية في الادب العربي نجحت في تقديم اروع ما في الادب الحديث من القصص والمسرحيات والاقاصيص».

وهذه الشهادة من ناقد كالدكتور اسماعيل ادهم لها قيمتها الكبيرة في تقرير هذا الواقع الادبي التاريخي، لما كان يمتاز به الدكتور ادهم في النقد من العمق والتدقيق العلمي الصحيح.

على ان ادب القصة والرواية المهجري، حتى لدى هؤلاء الثلاثة الذين ذكرهم ادهم، لم يقف عندهذه الروايات والقصص التي ذكرها، وانما تجاوزها كثيراً، فقد انتج جبران عدداً من الاقاصيص الاخرى، وكتابه «العواصف» يحتوي على عدد منها، وهي – عدا «العاصفة» – [الشيطان، السم في الدسم، ما وراء الرداء، الشاعر البعلبكي، البنفسجة الطموح] وهذه الاخيرة اقصوصة رمزية.

* اذيع من محطة الشرق الادنى على دفعتين

واما في المسرحية فان له في كتاب « العواصف » نفسه مسرحية قصيرة بعنوان « الصلبان » وقد ذكر له نعيمه في كتابه عنه مسرحية اخرى قصيرة بعنوان « ملك البلاد وراعي الغنم » وله في كتاب « البدائع والطرائف » مسرحية ثالثة قصيرة بعنوان « ارم ذات العماد » .

اما نعيمه فقد عالج في المهجر كتابة القصة والمسرحية ،وبعد عودته ظل يكتب بنفس الروح التي كانت تملي عليه من قبل ، ويكرر نفسه في مؤلفاته في اغلب الاحيان ، وقد انتج عدداً من الاقاصيص المتفرقة ، كما انتج رواية طويلة عنوانها « لقاء » ، واخرى كان قد بدأها ووضع اغلبها في المهجر ، ثم زاد عليها وطبعها في كتاب بعنوان « مذكرات الارقش » واما اقاصيصه القصار فقد اصدر منها مجموعته الاولى في كتاب بعنوان « كان ما كان » يضم بين دفتيه ست اقاصيص كان قد نشر بعضها في المهجر ، وبعضها كتبه بعد عودته الى لبنان. واما بقية اقاصيصه فمبعثرة في كتبه الاخرى، مثل «صوت العالم» و«النور والديجور» وبعضها لا يزال متفرقاً في الصحف .

على ان اعظم انتاج روائي لميخائيل نعيمه هو بلا شك كتابه عن جبران . وهنا حقيقة لم يفطن اليها اغلب الذين قرأوا هذا الكتاب ، وهي انه ليس تاريخاً حقيقياً لجبران، ومن الظلم الفادح لجبران وللحقيقة ان يعتمد عليه انسان لمعرفة حياة جبران « الانسان » ، فالكتاب رواية خيالية - وخيال نعيمه عجيب في اختلاقاته - اختير لبطلها اسم جبران ، واعطي له اتجاه جبران الفني والادبي ، واسماء مؤلفاته ومواضيع بعض رسومه ، وهذا هو حظ التاريخ في الكتاب ، وحظ الحقيقة ، ولكنه فيما عدا ذلك رواية من عمل الخيال البعيد الذي يخلق الصور ، ويرتب المشاهد والمواقف ، ويخترع الحوار ، ولقد ابدع نعيمه في هذه النواحي كلها كروائي فنان ، حتى اننا لنستطيع ان نقول ان روايته هذه من اروع ما عرفه الادب العربي في فن الرواية .

وكذلك نستطيع ان نقول ان نعيمه في الاقاصيص القليلة التي كتبها في اثناء وجوده في المهجر قد وفق اكثر من جبران والريحاني في خلق الاقصوصة الفنية ، فبينما كان يغلب على اقاصيصهما وروايتهما المواقف الخطابية التي تفسد جو القصة الفني ، كانت اقاصيصه تمضي بسهولة وواقعية وباسلوب فني منسجم يدلنا على ذلك الاقصوصة التي نشرها في مجموعة الرابطة القلمية سنة ١٩٢١ بعنوان «العاقر» ومثلها روايته «مذكرات الارقش» المنشورة ايضاً في المجموعة نفسها .

اما « العاقر » فقد اعاد نشرها في مجموعته القصصية « كان ما كان » التي تحتوي على خمس اقاصيص اخرى هي « ساعة الكوكو ، سنتها الجديدة ، الذخيرة ، سعادة البيك، شورتي » .

واما الريحاني فعدا زنبقة الغور ، وخارج الحريم ، وكتاب خالد، ووجده -وهو بالانكليزية ولم يطبع بعد- له ايضاً قصة في كتيب صغير بعنوان « المكاري والكاهن » ومسرحية بعنوان « وفاء الزمان » ورواية كتبت بالانكليزية ولم تطبع بعد ، وعنوانها « كريمة » ، ومجموعة اخرى من الاقاصيص الاجتماعية، بينها مسرحية ، لم تكن قد طبعت من قبل ، وقد صدرت اخيراً في سلسلة « اقرأ » بعنوان « سجل التوبة » .

وقد عرف المهجر الشمالي عدا هؤلاء الثلاثة،اديبين آخرين كان لهما انتاج قوي في القصة والاقصوصة، هما عبد المسيح حداد، ونسيب عريضه . اما عبد المسيح فقد نشر مجموعة كبيرة من الاقاصيص في كتاب بعنوان «حكايات المهجر» صور فيها اشكالا واوضاعاً شتى لحياة المهاجرين العرب الاجتماعية في اميركا ، وفيها المضحك والمبكي ، والمثير والمسلي . ويقول عبد المسيح في مقدمة هذا الكتاب ما يلي - « لقد ظل هذا الفكر يراودني حتى كتبت اول قصة « عبد الفطرة » لخاطرة خطرت ببالي املأ بها بعض فسحة من صفحات « السائح » ولم ادر الا وانا مدفوع من نفسي في ذلك الميدان ... ثم شعرت بيد لطيفة ممسكة بيدي ، تلك كانت يد عميد الرابطة القلمية جبران خليل جبران ، وسمعته يقول « اريد ان اقرأ لك قصة من هذا النوع في كل عدد من اعداد « السائح » ، ولا عذر لك عن عدم القيام بذلك العمل » .

وازاء تشجيع جبران وغيره من الاصدقاء وضع عبد المسيح حداد طائفة من الاقاصيص الاجتماعية التصويرية عن حياة السوريين في اميركا ، ثم جمعها في كتابه « حكايات المهجر » وهو الكتاب الوحيد لعبد المسيح حداد حتى اليوم، وقد اصدره في عام ١٩٢١ .

والى جانب هؤلاء جميعاً كان للشاعر التأملي نسيب عريضه ايضاً مشاركة في الادب القصصي وقد نشر له في مجموعة الرابطة القلمية قصتان تاريخيتان ، هما « ديك الجن الحمصي » ، وقصة الصمصامة » وقد وفق فيهما توفيقاً كبيراً مما يدل على مقدرة قصصية اصيلة بارعة .

هذا في المهجر الشمالي ، اما في المهجر الجنوبي فالمعروف ان القسم الاكبر من انتاج ادبائه المشهور هو من الشعر ، الا

ان القصة كان لها حظ لا بأس به من الانتاج النثري . ونحن نعرف من ادب القصة في المهجر الجنوبي - على قلة ما وصل الينا منه - كتاب « من اللحد الى المهد » لانطون انيس شكور ، وهو رواية ضخمة تتميز بخفة الروح ، وطرافة الفكرة ، وكثرة التحليل ، وحلاوة النكتة .

ولنظير زيتون ، وهو من اعضاء رابطة الادب المشهورة في البرازيل باسم العصبة الاندلسية عدد من الروايات المترجمة عن البرتغالية والاسبانية والروسية كما ان له رواية من وضعه بعنوان « ذنوب الآباء » .

وهناك ايضاً الاديب الشاعر الياس قنصل ، صاحب مجلة المناهل التي كانت تصدر عن الارجنتين ، وصاحب المؤلفات الشعرية والنثرية العديدة . وله ايضاً عدد من القصص والروايات نذكر منها عناوين بعضها وهي - [في سبيل الحرية ، - وهذه خلاصة رواية تمثيلية للكاتب الفرنسي فرنسوا كوبيه - ، على ضفاف بردى ، بين معارك الثورة ، عساف شوفان ، صدقي ابو حسن ، لصوص الشرف ، غالب افندي المغلوب ، العبقري المجنون ، نساء .]

وقد يكون هناك عدد آخر من الروايات والاقاصيص لادباء آخرين من المهاجر الاميركية الا ان هذا كل ما وصل الى علمنا . وهو على كل حال انتاج ضخم لفئة من ذوي الاقلام الموهوبة ضاقت بهم سبل العيش والحرية في بلادهم فراحوا يضربون في الارض سعيا وراء الرغيف والحرية ، ولم ينسوا في كفاحهم الشاق ان يكافحوا ايضاً في ميدان القلم والفكر ، فكانوا مصدر فخر للعروبة في كل ميدان خاضوه .

على ان هذا الاستعراض الخاطف للانتاج الروائي في المهجر لا يكفي وحده لاعطاء فكرة عن قيمة هذا الانتاج ونوعه ، ولذلك لا بد من عرضه ، او على الاصح عرض نماذج منه بتفصيل اوفى ، واستعراض الفكر والمواضيع التي تطرقت اليها هذه الآثار الادبية .

وها نحن نبدأ بالانتاج القصصي لدى زعيم المهجريين ، وباعث النهضة الادبية في المهجر ، جبران خليل جبران ، صاحب [عرائس المروج ، والارواح المتمردة ، والاجنحة المتكسرة] والاقاصيص الاخرى التي نجدها متفرقة في كتابه العواصف وغيره . وقبل ان نتناول هذا الانتاج الادبي بالعرض الموجز نذكر ان جبران قد عالج بقلمه في القصة والرواية والمقالة معاً ، كثيراً من نواحي الحياة الشرقية والمجتمع الانساني بفلسفته الثائرة على التقاليد الاجتماعية والتشريعية ، ولذلك جاء ابطاله كلهم ثائرين متمردين الى ابعد حدود الثورة على شرائع البشر ، وعلى الحكام ورجال الدين بشكل خاص ، ثم على تقاليد المجتمع . فلما بلغ جبران نضوجه الادبي والفني انصرف الى معالجة النواحي الروحية ، وتناولها بشيء من التلميح والرمزية ، سواء في ادبه وفي رسومه . وليس لجبران رواية طويلة كاملة سوى الاجنحة المتكسرة ، واغلب قصصه الباقية اقاصيص مطولة مجموعة في كتب .

في كتاب عرائس المروج - وهو من اوائل كتب جبران - ثلاث اقاصيص هي ١ - « رماد الاجيال والنار الخالدة » وتدور حول عقيدة تناسخ الارواح التي كان جبران يؤمن بها كل الايمان واستطاع ان ينقل ايمانه بها الى بعض زملائه ، فرأينا زميله وتلميذه نعيمه يحملها من بعده ، ويتخذها موضوعا لروايته الفنية الجميلة « لقاء » . فالحب الذي ولد بين ناثان ابن الكاهن حيرام في مدينة بعلبك في خريف سنة ١١٦ قبل الميلاد ، عاد الى الحياة في ربيع سنة ١٨٩٠ بعد الميلاد في المكان نفسه بين الراعي علي الحسيني وصبية من بعلبك ، فقد اعادتها عشتروت الى الحياة ليتمتعا بحبهما الذي لم يتم في المرة الاولى .

وما دمنا قدذكرنا ان نعيمه قد تأثر بهذه العقيدة فيروايته « لقاء » فنود ان نذكر الان ان ليوناردو عازف الكمنجه في رواية لقاء ، هو نفسه الراعي عازف الشبابة الساحرة قبل ذلك باجيال ، وان بهاء حبيبة ليوناردو التي قتلها حبه وقتله حبها ولم يتمتعا بعد بشيء من سعادة الحب ، هي نفسها الاميرة التي كان قد احبها الراعي القديم من بين الاميرات العذارى الثلاث اللائي تركن كل شيء وتبعنه ولم يظهر لهن اي اثر بعد ذلك . وقد استمر حب الراعي طوال الاجيال ، الى ان عاد مرة ثانية بين ليوناردو وبهاء .

ونعود الى « عرائس المروج » فنذكر ان القصة الثانيةفيه عنوانها « مرتا البانية » ، وهذه قصة انسانية مؤثرة تدور على لؤم بعض الاغنياء الذين يفترسون اعراض البريئات ثم يتخلون عنهن ليفترسهن من بعدهم عذاب العمر . وقد صب فيها جبران نيران غضبه على هذه النذالة النفسية،وعلى جور الشرائع البشرية.

والقصة الثالثة بعنوان« يوحنا المجنون » وهي احدى ثورات جبران العنيفة على رجال الدين ، ومثلهما « خليل الكافر » ايضاً في كتابه الآخر « الارواح المتمردة » وقصص اخرى كثيرة غيرها .

وما دمنا قد ذكرنا « خليل الكافر » فنذكر معها ان هذه القصة هي واحدة من اربع قصص ينطوي عليها كتاب « الارواح المتمردة »، والاقاصيص الثلاث الباقيات هي ـ وردة الهاني ـ ومضجع العروس ـ وصراخ القبور . وهذه الاخيرة هي قصة ثلاثة اشخاص، احدهم فتى دافع بحياته عن شرف فتاة عذراء ضعيفة وانقذها من شراسة احد رجال الامير ، والثاني صبية عذراء ليس لها من ذنب سوى انها قد لامس الحب قلبها قبل ان تغتصب المطامع جسدها ـ على حد تعبير جبران ـ ، والثالث بائس عاش يعمل في حقول الدير حتى هرم فطرده الرهبان ، فلما لم يجد وسيلة لاعاشة اولاده عاد الى الدير يلتمس شيئاً من عرق جبينه الذي طالما سفحه فيه مدى حياته كلها ، فقبض عليه الرهبان وسلموه الى الامير لينتقم منه. وقدحكم الامير باعدام الثلاثة معاً طبقاً لشرائع البشر غير العادلة.

أما « الاجنحة المتكسرة » فهي رواية فيها حرارة وفورة شديدتان، لانها تعبر عن حب وحقد شديدين وفيها كثير من نقمة جبران على رجال الدين ، تلك النقمة التي رافقته مدى الحياة ، وكانت محور القسم الاكبر من اقاصيصه. وفي الرواية الى جانب ذلك نقمة على ظلم البشر وجهالتهم. والذي يطالعها يرى جبران الفنان يرسم بالالفاظ ، وجبران الاديب الشاعر يبتدع المعاني الجميلة ، وجبران المحب للانسانية وللمجتمع البشري يعمل على هدم الكثير مما يعوق تقدمها ويبعدها عن الراحة والسعادة والحرية . ومن ابرز مزايا هذه القصة الوصف البارع المؤثر ، والعبارة الرشيقة الخلابة . وهي قصة جعل جبران نفسه بطلها ، وجعل بطلتها فتاة اسمها سلمى كرامة ، وقد تحابا حباً قوياً ، ولما اراد ان يخطبها لنفسه ، تقدم المطران بولس فخطبها لابن اخيه ، فلم يكن بد من الرضوخ لارادته ، فحال بذلك بين قلبين متحابين باخلاص ، وظل الحب يحرق قلب سلمى الى ان قضت كمداً ، وقضى قبلها الطفل الذي كان اول ثمرة لزواجها .

اما الاقاصيص التي جمعها جبران في كتابه «العواصف» فاهمها «العاصفة» وبطلها يوسف الفخري شاب في الثلاثين من عمره ، هجر الدنيا وعاش في صومعة منفردة صامتاً بعيداً عن الناس لانه اراد ان يحرر نفسه من العبوديات التي يخضع لها الناس في حياتهم اليومية ، وهي عبودية الحياة ، وعبودية الماضي،وعبودية التعاليم والعوائد والازياء ، والعبودية للموتى.فهو لا يرى في حياة الناس الا العبودية والرياء والنفاق .

ومن اقوى هذه الاقاصيص ايضاً قصة « السم في الدسم » وبطلها فارس الرحال شاب وزعيم في قريته ، جمع بين المال والجمال والجاه.وقد اقترن بفتاة جميلة فاثار زواجه حسد رجال القرية . ولم يلبث بعد ستة اشهر ان اكتشف علاقات حب متين بين زوجته وصديق له.فغادر القرية سراً بعد ان ترك لدى كاهن القرية رسالة الى صديقه.فلما قرأ الصديق الرسالة ، وعلم منها ان فارس الرحال قد غادر القرية لكي لا يقف حجر عثرة في سبيل حبه ، وانه يرجوه ان لا يتخلى عن العناية بالمرأة التي يحبها،لم يجد بداً من الانتحار اذ رأى كيف يقابل صديقه خيانته بمنتهى الكرم والتضحية .

ومثل جبران كذلك كان الريحاني ، صديق جبران وخصمه في آن واحد معاً ، فهو شبيه به في بعض كتاباته القصصية، فكتابه الصغير « المكاري والكاهن » هو ثورة تهكمية على رجال الدين، واسلوبه هو عين اسلوب جبران في قصصه، اذ تكثر فيه المواقف الخطابية ، وتضعف قوة الحبكة الفنية من جراء ذلك .

اما روايتاه « زنبقة الغور، وخارج الحريم » فهما تعالجان اشياء من صميم حياة الشرق العربي،في مشاكله السياسية والقومية

والاجتماعية. فروايته «خارج الحريم» مثلا تصور كيف كان الالمان يتحكمون في امور الشرق العربي ايام العهد التركي. ثم هي دعوة للمرأة العربية المحجبة الى الخروج على تقاليد الحجاب، والى المشاركة في الاعمال الوطنية بجرأة وقوة.

والريحاني يختلف عن صاحبه جبران في انه كان قد صرف جهوده الى القضايا القومية العربية، والى معالجتها بطريقة المقالات وكتابة الكتب والرحلات، وفي هذه كلها كان ينفث ثورته العنيفة على خمود الروح الوطنية والقومية في الشرق العربي، وكانت هذه الناحية اهم شاغل لقلمه، وفيها افنى حياته بالرحلات والتأليف، والسعي الصادق للوحدة العربية التي تدعمها القوة، والقوة وحدها لتحمي بها ديارها وكرامتها. اما مسرحية «وفاء الزمان» التي طبعت مرة عام ١٩٣٤، فقد وضعت خصيصاً بمناسبة مهرجان الفردوسي الذي اقامته ايران في ذلك العام بمناسبة مرور الف سنة على ولادة شاعر الفرس الاكبر، وصاحب الشاهنامة الشهيرة فقد اعطى الريحاني الزمان شخصية الوفي الذي يقدر الرجال العظام الذين قدموا للحياة آثاراً عظيمة تستحق الخلود.

ونأتي الآن الى ميخائيل نعيمه، وانتاجه القصصي والروائي غير قليل، وقد ذكرنا في الحديث السابق ان له مسرحية بعنوان «الآباء والبنون» طبعها في اميركا، ومجموعة قصصية بعنوان «كان ما كان» اغلب ما فيها كان مما كتبه نعيمه في اميركا، ولكنه لم يطبع الا بعد عودته الى لبنان. ولسنا نريد ان ندخل في حسابنا الان كل ما الّفه نعيمه من اقاصيص وروايات في لبنان، وحتى رواية «لقاء» وهي من اعظم ما كتبه نعيمه، نكتفي بما قلناه فيها منذ لحظات عند ذكرنا لعقيدة التناسخ عند جبران. وبحسبنا الان ان نتحدث على كتابه «كان ما كان» وهو كتاب يحتوي على ست اقاصيص ذكرنا اسماءها في الحديث السابق، وهي كلها اقاصيص من صميم الواقع الاجتماعي في لبنان والشرق العربي عامة

من هذه الاقاصيص نذكر على الاخص «سنتها الجديدة» التي يعالج فيها الكاتب عادة كراهية الشرق للبنات ولا سيما عند ولادتهن. وقد ابدع كثيراً في حبكتها واعطائها اكبر قسط من التأثير

وقصة «العاقر» وهي ايضاً تعالج موضوعاً خطيراً، وكثيراً ما يكون في الشرق سبب مآسٍ عائلية، وسبب تعاسات كثيرة. وخلاصتها ان عزيزاً وجميلة ـ القرقور والقرقورة ـ قد تحابا وتزوجا، ولكن الايام مرت وزواجهما لم يثمر ابناء، وعبثاً جعلت ام عزيز تلجأ بكنتها الى الكنائس وصور القديسين، ولذلك ما لبث عزيز ان خمد الحب في قلبه وبدا ينصرف عن قرقورته لانه صار يعتقد انها عاقر، وانه لن يكون له نسل منها... ولكنها اخيراً حبلت وظن الجميع ان صلوات حماتها قد استجيبت، فعاد عزيز يحبها من جديد ويظهر لها الحنان والرضى. اما هي فقد رأت نفسها لا تستحق هذا الحب المعاود من زوجها، وفي ذات يوم عاد عزيز الى البيت فلم يجد امرأته بل وجد ورقة منها تذكر فيها انها تنتظره عند السنديانة، فذهب الى هناك فوجدها جثة هامدة وبين طيات ثوبها كتاب منها اليه. وقرأ الكتاب فاذا هو امام حقيقة قاتلة، وهي ان الجنين الذي تحمله ليس ابنه، وانها اضطرت الى هذه الفعلة لتثبت له انها ليست هي العاقر وانما هو...

اما قصصه الاخرى فكل واحدة منها تعالج موضوعاً خاصاً، فقصة «جمعية الموتى» ينكر فيها اخلاص من يتشدقون بالوطنية من الزعماء، والكتاب والصحفيين وغيرهم من قادة الرأي، ويعلن ان الوطني الصادق هو الذي يشق الارض بمحراثه ليستخرج للناس خيراتها، ويتحمل بصبر وتضحية نصيبه الكبير من مصائب وطنه ومن كفاحه. واما قصة «الذخيرة» فيتهكم فيها باولئك الذين يؤمنون ايماناً اعمى بقدرة ذخائر القديسين على اجتراح العجائب. وفي قصة «سعادة البيك» سخرية من ولع الشرقيين بالالقاب، وبطلها الشيخ احمد الداعوق ـ لا يحب ان يدعى بغير «سعادتلو احمد بيك الداعوق» حتى وهو يأكل ويشرب بالدين ـ واما قصة «شورتي» فهي حملة على الحروب ومثيريها، لان الانسان انما يثيرها ليفتك باخيه الانسان، بدلا من ان يبادله الحب ويتعاون معه لخير البشرية وسعادة الحياة.

اما من الادب الروائي في المهجر الجنوبي فقد كنا نود ان نعرض خلاصة لكتاب «من اللحد الى المهد» لانطون انيس شكور لولا ان الرواية طويلة ولا يمكننا اختصارها في سطور قليلة.

وبعد فهذا عرض خاطف لنماذج من الانتاج الروائي المهجري، القصد منه التعريف وحده لان المجال لا يسمح باطالة التحليل والاستقراء، كما انه لا يسمح بعرض بقية هذا الانتاج الجميل، وعلى الاخص في ادب المهجر الجنوبي الذي ذكرنا اشياء منه فيما سبق من هذا الحديث، فبحسبنا الان هذا القليل من التعريف الذي نرجو ان يحبب الى القارىء الكريم العناية بآثار هذه الفئة المجاهدة، او الجنود المجهولين في ميدان العروبة والادب العربي.

عمان — عيسى الناعوري

اللقاء الاخير

•

لمّا التقينا بعد هجر السنين سرنا معاً في الروض ، كالعاشقين
وكان أن أهديتها وردة تساقطت من كفها بعد حين
فالتقطتها من أديم الثرى . اذا بها بيضاء كالياسمين

ما بيّض الوردةَ ثلجٌ همى
يا غادتي ، لا تنظري للسما
وتتهي الصيفَ بغدرٍ مشين

من جو قلبينا الصقيعُ ارتمى ثلجاً على الوردة والقاطفين
والحبُّ أشتى فلنعدْ قبلما تفضحنا الزكمة للناظرين

فيشي جورج صيدح

☆

قافلة الحياة

•

لاحمد المهداوي

•

بغداد

ونسلت طرف الخيط أجنحُ للنجاة ولا نجاةْ
فتشابكت كل الخيوط وأظلمت سبل الحياة
مَن تلكم اللقاء لاءمتِ الشباة على الشباة
ما ضرّها لو وثّقتْ بيني وبينكِ للصلاة
ألأنه الذهبُ البغيض يرن في سمع الجناة
أم أن قافلة الحياة يجرها ذئب وشاة
فتطلّعي للكوكب المطلوب يهزأ بالشقاة
يتكارعون من الصديد ومأؤهم عذبٌ فرات
يا شبرُ لم تكُ نزوةً فارت فغامت في سبات
هي حمأة بسقت فماجت في التحسس والحياة
ستظل تلك الذكريات ترف فوق الذكريات
ويظل ذاك العالم المسعور يومىء للطغاة

محب الدين الخطيب في علمه ووطنيته

صور لبنانية وسورية على ضفاف النيل

بقلم السيدة وداد سكاكيني

يوم جاد الدهر على مصر بشيخ نهضتها وزعيم تجديدها وإصلاحها الامام محمد عبده فبسط نور الحق والعلم على تلاميذه ومريديه ، ورفع بيده مشعل الوعي الحديث في وادي النيل ، كان صاحبه ونظيره الشيخ طاهر الجزائري حاملا بيده علم الحرية الفكرية والحركة الاصلاحية والعلمية في سورية ولبنان ، وكان اهل هذين البلدين الشقيقين ينظرون اليه نظرات المستيقظين من ليل طويل الى الشمس المشرقة وقد طلعت عليهم لتبعثهم الى عالم جديد ، بعد ان ران عليهم خمول ثقيل وطغيان وبيل، وكانت دمشق عز الشرق كما قال شوقي تتحرك في احضان غوطتها الخضراء، لتأخذ مكانتها الحديثة بما ترتبط به تاريخها اليومي بدولة آل مروان وبني عبد شمس ، وكانت بيقظتها هذه ترنو الى امامها المصلح الشيخ طاهر الجزائري الذي اخرجها من سباتها لتمشي في ركب الزمن ولتشهد عصر الحرية والحضارة وكان هذا الشيخ المجدد كقائد صرخ في جنده ودعاهم الى معركة فاصلة ، وقد كان في جنده اعيان الدين والعلم من شيوخ دمشق امثال سليم البخاري وجمال الدين القاسمي وعبد الرزاق البيطار، اما الاجناد الاحرار الذين تنادوا الى معركة التحرير والبعث الفكري العتيد فكان فيهم الرعيل الاول من مؤسسي النهضة السورية المعاصرة كالاساتيذ محمد كرد علي، فارس الخوري، عبد الرحمن شهبندر ، عبد الحميد الزهراوي ، رفيق العظم ، شكري العسلي ، وسواهم من ذوي الفكر والوطنية والعلم .

وكانت مدرسة الشيخ الجزائري متنقلة متجولة ، يشع اثرها بين شرقي دمشق وغربيها كما كان يتناهى ذكرها وهدفها الى بعض البلاد المجاورة كحماه وحلب وبيروت والقدس ، ولم تخل هذه المدرسة المؤسسة لنهضة سورية من فتية نجب نسوا شبابهم ودنياه واندمجوا مع الكهول في تفكيرهم وتحررهم ، وكان المعهم واتقاهم الاديب الموهوب محب الدين الخطيب .

وما كادت هذه الحركة تلقى صداها وتبلغ مداها حتى استيقظت لرصدها ومناوأتها اعين الحكم العثماني الذي كان باسط الاستبداد والعدوان على الحياة الفكرية والاجتماعية بسورية ولبنان ، فلم زعيم الحركة حاجاته واشياءه وسارع الى مصر ليتنفس في كنانتها أريج الحرية ، وكانت مصر على الدوام ملجأ الاحرار والمضطهدين ومقراً للعلماء والزعماء الذين تلم بهم النكبات وتدهمهم الصدمات ، اما الخطيب الفتى الذي كان الصق لداته بالمصلح الكبير فقد بدت عليه علامات التوثب الفكري والتلهف الى الحرية منذ ضمته السنة الاخيرة في الدراسة الثانوية التي كانت في ذلك الحين ارقى ما يمكن ان يحصله المتعلمون بسورية تعليماً نظامياً ، فلما تتبعته الاعين الغاشمة بالمضايقة والمراقبة ، ووجدت بين اوراقه وكتبه آثار التحرر والتحفز اضطهده معلموه من الترك، وكاد يصيبه الاذى من الحكم الطاغي فرحل الى بيروت لاتمام دراسته ثم انطلق منها الى استانبول ليتلقى في جامعتها ثقافة حقوقية وادبية ، وهنالك على ضفاف البوسفور انعقدت حوله حلقة من شباب العرب فيهم السوري واللبناني ، والعراقي والفلسطيني وبعض ابناء البدو الذين كانوا في مدرسة العشائر ، فلما تبين للخطيب انهم مع لهفتهم الى الحرية والعروبة لا يعرفون ادب لغتهم ولا تاريخ امتهم اهتاجت حماسته واهتزت مروءته فاخذ ينفخ فيهم النزوع الى اسباب الوعي والنهضة ، ووافقه على رأيه وسعيه صديقه الحميم الامير عارف الشهابي الذي قضى في شبابه شهيد الوطنية ، وهو شقيق العلامة الامير مصطفى الشهابي وزير سورية المفوض بمصر .

وقام الصديقان المتآلفان بتعليم اترابهم من شبان العرب ما لم يتعلموه في معاهدهم وبلادهم ، وكانت هذه التعاليم وسيلة الى

شيوع آراء الخطيب واهدافه الاصلاحية في البيئات العلمية والسياسية بتركية ، وفي ذلك الحين كانت تصل اليه والى انداده واخوانه صحف مصر وسورية وفيها قصائد ومقالات لمصطفى كامل وجاويش، والزهاوي وولي الدين والغلاييني والمحمصاني وشوقي وحافظ وغيرهم من الذين كانوا يرسلون صيحات البعث والتحرير غير عابئين بجور المستعمرين وعنت الغاصبين حتى تالفت جمعية النهضة العربية التي كان الخطيب محور نشاطها وتوجيهها.

وما كاد يتم ثقافته الحقوقية في استانبول حتى اشتد الضغط على طموحه ومساعيه مما اضطره للعودة الى بلاده السورية التي كانت تفتح اجفانها على الجيل الصاعد وابنائها الذين آن لهم ان يحطموا القيود ويعدوا ما استطاعوا من وسائل النضال والجهاد ، وكان الاستاذ محب الدين محباً للاقطار العربية جميعاً يريد لها التحرر والخلاص من ضيم الاستعمار والاستبداد ، فلما دعي الى العمل في اليمن آثر البعد تخففاً من الضغط والحرج ، وبغية الاطلاع على آفاق عربية صريحة، وقد اتصلت بين المغفور له الامام يحيى ملك اليمن وبين الخطيب مودة وثيقة مبنية على التقدير والوفاء ، ولما ارتد الى سورية قبل اعلان الدستور العثماني اخذ يشارك في الحركة الادبية والفكرية بدمشق فتمرس بالصحافة والنقد ، وكان لمقالاته وقع جميل في نفوس قومه الذين احبوه وقدروا نبوغه واخلاصه ورأوه فجراً جديداً يطلع على بلادهم بالحرية المنشودة غيران استبداد الظلم في الحكم والسياسة احرجه فاخرجه من وطنه الاول الى وطنه الثاني مصر ليرسل من آفاقها صرخات الوعي والكرامة ، فاتخذ القاهرة دار مقام ومعاش ، وانضم الى التحرير في « المؤيد » كما اسس مكتبته المعروفة بالسلفية والتي ما تزال الى اليوم تشع علماً ونوراً وتنشر نوادر المخطوطات ونفائس الكتب .

وفتحت مصر الكريمة ذراعيها حفية بنزيلها الخطيب الذي ملك النفوس بمروءته وأدبه، وقلمه الحر الرصين ووعيه البعيد، واستهوى المسامع بخطبه الرائعة واحاديثه الشائقة ، وقدر الشيخ محمد رشيد رضا ثقافة الخطيب الدينية والفكرية ، فعهد اليه بالتدريس والتوجيه ، وكان الاستاذ محب الدين في اثناء ذلك لا يفتر نشاطه الوطني بين اخوانه وجيرانه في ارجاء البلاد العربية.

لم يكن سياسياً محترفاً يخفق في الآفاق مستجيباً للتيارات الحزبية والدواعي الزمنية والحكمية وانما كان وطنياً مثالياً يسعى الى خير الامة والوطن ويؤمن بالعروبة مرتقباً صباحها الموعود ويومها الكبير ، وفي سبيل هذه الاماني الغالية كنت تجده يوماً في اليمن وآخر في نجد او الحجاز وحيناً بالعراق حتى شبت الثورة العربية التي قادها المغفور له الشريف الحسين، وقد استعان هذا المنقذ الاول بطائفة من ثقات العرب وفي طليعتهم الاستاذ محب الدين الذي طلبه الشريف خاصة ليعهد اليه بالتوجيه الصحفي والثقافي في منزل الوحي وارض الحرمين .

وكانت للخطيب في إبان المحن والملمات يد بيضاء في انقاذ كثير من ساسة العرب والسجن والاعدام وقد عرف مثلهم عذاب الحبس والتشريد ، ولقي كثيراً من العنت والاضطهاد في سبيل وطنيته ومن اجل اهدافه الاصلاحية، ولما وضعت الحرب العالمية اوزارها وتوج بن الحسين ملكا على سورية كان الاستاذ محب الدين أحد المخلصين المعدودين الذين آزروا الحكم العربي الجديد ومحضوه نصحهم وعلمهم ، وقد قام بما عهد اليه من امور حتى انهار هذا الحكم واحتل الاجنبي الربوع السورية غصباً وكيداً ، فلقي الخطيب المجاهد من بوادر هذا العهد ادهى وأمر مما لقي من قبل ، واذ ذاك اتخذ الليل جملا وارتد الى

مصر حيث اسس المطبعة السلفية واستأنف حياته العلمية والوطنية، وغدا في هذه الفترة من جهاده المتصل كاتباً مرموقاً في «الاهرام» ثم انشأ مجلته «الزهراء» التي كانت غرة المجلات الادبية بضفاف النيل عصر النهضة الحديثة، وما لبث الخطيب الصحافي ان اخرج للناس جريدته «الفتح» الاسبوعية التي طبعها بطابع اسلامي قويم، وقد اقتصر الاستاذ الخطيب بعد حين على هذه الصحيفة فبقي قائماً بتحريرها ونشرها حتى اعقاب ١٩٤٨ وكانت قبل ظهور الجمعيات الدينية بمصر اشبه بمدرسة سيارة تؤدي رسالة كبرى، ما يزال المثقفون في كل بلد عربي يذكرونها بالخير ويحرصون على مجموعاتها القيمة، ومن مآثر الخطيب ان كان المؤسس الاول لجمعية الشبان المسلمين بالقاهرة.

ولعل القارىء الذي اعجب بسيرة هذا المجاهد الكبير يتوق بعد الى الوقوف على المزايا والنواحي التي تفرد بها وتركت آثاراً بعيدة، فان للاستاذ الخطيب ولوعاً بالكتب منذ نشأته الاولى اذ تملق عن موهبة وإيمان بجوهر الثقافة الانسانية وهو الكتاب، فعني به قارئاً ومؤلفاً وناشراً، حتى ضمت مكتبته الخاصة اكثر من اثني عشر الف مجلد في مختلف اللغات والاداب والمعرفة، فضلا عن حوزته لكثير من مؤلفات الدين والفلسفة وقد عكف عليها عكوف المتعبدين بالمحاريب يستفهمها اسرار الكون والتاريخ، ويسألها عن عبقرية السلف الذين بنوا مجد العرب وهو يعد اليوم اعلم رجال النهضة بسيرتها وحقيقتها، ومن العتب على المجمع العلمي العربي بدمشق قعوده الى اليوم عن انتخابه عضواً من اعضائه، وفي المجمع من هم دونه ومن اختارهم ولم يشكروه او يقدروه.

والاستاذ الخطيب يعيش اليوم في مدينة كتبه متبحراً في اغوارها، فما تلقاه الا مكباً على التأليف والتحقيق او قائماً بنشر مخطوط نفيس، وطريقته في البحث والتصنيف منهجية منظمة على الطريقة الجامعية الحديثة، ولا يكاد المرء يدخل عليه ردهة كتبه حتى يجد نفسه في حضرة عالم خطير يتلقاه بالحفاوة والمؤانسة وليس بينه وبين الفضل حجاب او ميعاد، فان الخطيب المتواضع بقية السلف الصالح الذي طمع بالعلم وزهد في المال والجاه مبتغياً وجه الله، واهباً حياته للغته ووطنه. وتالله ما تقع عليه العيون حتى تقول لاصحابها انك تلقاء جيل من العلماء.

ونحن لم ندرك عهد الشيخ الجزائري ولكننا رأيناه عياناً وعرفناه بدمشق في شخص الاستاذ الرئيس محمد كرد علي، واما طلعة الشيخ المصلح فقد اشرقت على ضفاف النيل كما تألقت بضفاف بردى ورأيناها بمحيا الاستاذ الجليل محب الدين الخطيب.

لقد هاجر الخطيب من وطنه الاول الى وطنه الثاني بدينه وعلمه ومروءته ووطنيته واقام ملياً في دار الكنانة مجاهداً رؤوباً لا يفتر عن السعي الى تحقيق الغاية التي اغترب من اجلها، وقد استغلها سواه بعد حين. ونعم من نعم بالمناصب راضياً بها ثمناً للجهاد او وسيلة للحكم والاعتزاز، اما محب الدين الذي احب الدين لله واحب الوطنية للوطن فقد اسعده ان تسعد بلاده بنعمة الحرية والاستقلال، ولم يخطر بباله يوماً ان يبيع جهاده الطويل في سوق سوداء.

هذا رجل بامة، لو كان في الغرب لاقام له قومه تمثالا، ولصاغوا من وجهه وساماً يزين صدور العلماء والاحرار ولكنه الشرق، كم فيه من كنز دفين وذخر كمين، فاذا سعى القلم رفيقاً مشوقاً الى تصوير بعض اللمحات والمآثر في حياة محب الدين الخطيب فان له كلمات وذكريات يفصل فيها القول بعد حين عن الرجل العظيم.

القاهرة — وداد سكاكيني

الكلب

بقلم بدر الديب



عندما نكتب تتهادن الامور و تتجمع في رفق و نحس ببساطة الحياة والضوء ويتراوح في نفوسنا معنى غريب فيه قساوة التاريخ المندفع الى نفسه وروح الزمن المار المعزي. والحكاية في أرواحنا قريبة ميسرة كاعمالنا البسيطة في النهار تترامى في طريقنا مبذولة لظلالنا في الليل .

لا... لن يموت هذا الصديق عندما اقص عنه... عندما أتباعد به في سمائنا الداكنة القائمة أطرافاً من نور وسحابة عائمة حالمة . لن يموت لأني احبه ، لانه باق في روحي كالليالي الطويلة القادمة، كفسحة الفكرة النافذة ، كاصعاد الروح في المدارج الخفية المتنائية. لا... لن يموت.

عندما خرجنا من غرفتي في المساء كانت الدنيا الغافية المستنيمة تفرحنا بانفسنا وبحياتنا الشابة القوية فتندافع بخطواتنا كاننا نرقص، نرقص على الظلمة في حرير. كان جميلا، جميلا فارعاً في ثوبه الاسود ممشوقاً فيه كزهرة جميلة تضمها الخضرة . وفي جانبه كنت اتحرك في ثوبي الابيض الفضفاض اتأرجح في خطواتي كأني ثمل، ثمل في طرقات بغداد في الليل. لم يكن لدينا ما نريده، ولكننا نحس ان الليل يحملنا على صدره . كانت ضحكاتنا المتصاعدة المتباعدة ووثباتنا في الروح الدائرة الفاجئة ، اشبه بعبثات صغير ، طفل أبيض جميل يعبث بيديه وهو يرضع .

كنا نتحرك في الكل الواحد المترامي، وكانت اقدامنا بسيطة جريئة كعيون فلاحة جميلة. في الجو حوالينا تترقرق الزرقة رقيقة حانية وسطح البحيرة يكسو المعاني كلها ، وكنا نتزلق وراءها في كل مكان . كنا نتزلق على الارض المحروثة المخططة يترامى فيها ظلنا فنرقبه فرحين كانه ساكن في الماء . وكنا نترك انفسنا لمصابيح الطريق تتبادل اقترابنا منها وتعبث كما تريد بظلالنا فتمسح بها الارض من امامنا وخلفنا وفجأة تحت اقدامنا قصيرة قصيرة كاننا نضغطها. كنا نتحرك و نقترب... كل شيء يخفق في اجسادنا، الضوء والعطر وظلمة الجامد الساكن تتقلب في سحره. الحركة حية متجردة في نفوسنا كانها حي يستيقظ من نومه او فاتنة جميلة في نافذة على الفجر. كنا نطل في كل شيء و ننظر دائماً الى ظلالنا فكاننا نعبث باقدامنا في الماء . وكانت المعاني ميسرة قريبة تفد على صديقي كبيرة غنية كحمائم بيضاء . وكان يتحدث الي فتتساقط كلماته وتتداح رفيقة متباعدة كأن الماء يغمر حوالينا كل شيء .

وعندما اقتربنا من العامود الطويل المضيء كنا سننحني في الطريق على اليمين ، ولكنه كان يمتد وراءنا بعيداً كاننا سنسير فيه... وعندما تعاقبت خطواتنا على الارض ارتفع عند ظهورنا صوت الكلب. ولا بد ان هذا الكلب يجثم بعيداً في الطريق الذي نسينا لاننا عندما التفتنا الى الوراء ننظره رأينا الطريق ابيض ابيض كشموع ذابت وخلفت ظلمة، نعم لم يكن وراءنا إلا الظلمة ظلمة شاملة واسعة تشمل كذلك صوت الكلب البعيد الذي التفتنا اليه. كان صوتاً اجوف غليظ الحواش تشيع فيه الحمرة البنية القاتمة ويتباعد اوله وآخره فنحسه قصيراً لا ينتهي، وسمعت حديث صديقي عنه وما زال منبسطاً كامواج رمل في صحراء . عندما التفت اليه صديقي وضحك وتحدث احسست ان كائناً آخر غريباً يقترب منا بكيانه وخيل لي انه يجثم بعيداً بعيداً في طريق آخر نسيناه... فلما التفت حوالي كان صديقي يقول : أليس صوته كطبلة قوية كبيرة افرغت أحداثها جميعاً في دقة واحدة متصلة .. !

وضحكنا وسرنا، كان الليل يدعونا اليه كانه اختار هذا الطريق فحسب. وكانت كلاب البلدة قد ارتبطت بنا رباطاً خفياً أحسسناه في اقدامنا ووقر منه في نفوسنا شيء. ولكننا خفاف تتحرك اجسامنا في اقواس تشمل المسافة كأن خطواتنا مرسومة على سماء.



فانسحب الطريق خلفنا ونسينا الطريق الذي جثم فيه الكلب وانطلقت ارواحنا في الطريق المنبسط تتردد بين الاشجار الكبيرة على جانبيه وتتبادلنا وقفاتها الساكنة نعتمد عليها ونشق بها الطريق. لم نكن نصدق أن ثمة طريقاً ينبسط امامنا هكذا دائماً. كانت اوراق الشجر المتساقطة تحرك في الشارع عرضاً ليس له وتغلق الافق على اقدامنا. كانت الفسحة والضيق يتواثبان حوالينا كأني وصديقي. واقتربنا من مفرق للطرق ومن منزل كبير يسكنه الجنود الاجانب وكان لهؤلاء الجنود كلبان واحد منها كبير غليظ تعمه الحمرة البنية القاتمة والآخر أسود مخطوط تبقعه نقاط بيضاء.

وكنا نسير ونتحدث، وكان صديقي يحدثني عن رواية كبيرة لفرنسية مشهورة. كان يذكر لي اسم القصة وهو يداعب الحروف والكلمات على شفتيه كانه يقبل زهرة او يقطع اوراقها. كان يضم شفتيه على الحروف في رفق وتبسط كانه غني يصحبك في بساطة خلال مجموعاته الفنية من الخزف كنت أسمعه يذكر لي اسم القصة: أفواه لا نفع فيها، عندما اندفع الى جانبنا الكلب الاحمر الكبير قادماً يركض من الشارع العريض تتدحرج في اقدامه حجرة صغيرة تسرع كي تلحق جسمه في اي مكان. وكان الشارع اضيق من هذه الحركة كلها، فقد عبره الكلب وكانما قفزه، فقفزت خطواتنا وتقاربت اقدامنا، فنحن نخاف الكلب ونخاف خوفنا منه ايضاً. واستقر الكلب قليلا عند الرصيف بعد ان ماتت الحجرة ولصقت بارض الشارع الجامدة. فلما عبرنا رقدته قدم علينا وهو ما زال في فزعه فازدادت اقدامنا تقارباً وراح صديقي يكرر لي اسم الرواية: أفو... آه لا...: ..فع..فيها. كانت حروفه متقطعة متقطعة كانه يقرأ صفحة قديمة بالية. لم نكن خائفين فقد شجعتنا أيدينا المترابطة وتلاحقنا معاً، كنا حريصين أن نتورط معاً في تجربة لا نرضاها، وكان صديقي حكيماً. وراح يكرر اسم الرواية لي كانما كي يشغلني عن ذلك المقترب مني المتشمم لاقدامي. وتضخم الكلب في نفوسنا فقيدنا جسمه الكبير السمين وأحسسنا كأننا نتحرك في ظل كثيف كثيف ينقلب متواثباً في أقدامنا. كانت أظافره تطرق الارض كضربات المطر على زجاج وصوته يدوم في داخله كاعصار بعيد. ولكننا نسير وهو يتبعنا، ولم نتقدم الفرق بين شجرتين على الطريق.

وفجأة أشرق الامر في نفوسنا، فقد تجمع خوفنا وحرصنا وسقطا معاً في إدراكنا الخارجي المباشر. ضحك صديقي وضغطت على يده وانا ارتفع معه في المعنى الجديد. كان الطريق قصيراً، قصيراً جداً ولكنه مغطى كله بالزهور الحمراء. أحسست ونحن نضحك معاً ان اقدامنا تتحرر وانا نتخلص من هذه الالفة المفزعة التي فرضها الكلب علينا وأنه يمر الى جانبنا سريعاً كانما في طريق مزدحم بالناس. وعندما تعاقبت كلمات صديقي السريعة الضاحكة كان يحس انه يتكلم بلغة اجنبية عن سيدين وراءه لا يريد ان يسمعها حديثه. واعجبنا المعنى فاصابت اقدامنا رشاقة وخفة خطرة واقترب منا الكلب الاسود المبطوط وشغل كل منها بواحد منا. وعندما عبرنا بيت الجنود الاجانب كان جهد تتبعها البريء لنا قد فرغ وقد أشبعا حذريهما منا فعادا.

القاهرة — بدر الديب

أفـاق

☆

أفّاقُ

هذا ما ترينَ   سألتُ عينيكِ اتركيني
أنا لستُ غيرَ مشردٍ   جوّابِ آفاقٍ لعين
ومكفنٍ أرنفَ التعفن   في توابيتِ الظنـون
لا شيء تحمله يـدي   غير الجريمة والجنون
غير الغدِ المجـذومِ   يغزله التأملُ في جفوني

أفّاقُ

تلـك هوايتي   ناشدتك الله افهميني
كم شقّ جفنك في دمي   درباً لمنعطف المنون
إنا كلانا من عجينةٍ   عنصر الخـأ المهين
وذريعةُ الخطـأ التي   رثّتْ بصومعة القرون
من عنصر الندمِ الذي   وشمَ الخطيئة في عيوني
في قلبكِ الخشبيّ ما   في قلبي الهرم الزمين
حطبٌ وبضعة أسطرٍ   حفرتْ بازميل السنين
حمراء، تلهثُ في سكون   منيّتي ، كعروقِ طين

بغداد   صفاء الحيدري

الشاعرة الباكية

بقلم السيدة سعاد ابو شقرا

تلك الرمال الممتدة على ابعاد خاوية ، وهذه الفلوات الشاسعة التي لم توفر لسكانها الا الخشن من الحياة، كانت معواناً على صقل شاعرية البدوي المتأجج عاطفة ، واسباباً اخرجت الشعر الجاهلي عاطفياً خالصاً نطق به القلب فجرى على اللسان بعيداً عن كل تمويه او زيف،خالياً من كل كلفة او صناعة.

ولئن ضاقت سبل الحياة في البيد ، فانحصرت فيما انحصرت فيه من مرافق واغراض ، وخشنت حتى ما يطيق احتمالها حضري ، فانها كانت حلوة في نظر البدوي المفطور على حب الحرية والانطلاق ، لا سيما وهو الذي اعتادت عيناه ان تسرحا النظر في اجواء لا يعكر صفوها الا ثغاء الشاة هنا او رغاء الناقة هناك .

هذه الحياة البسيطة المجدبة لم تكن لتحد من عاطفة البدوي الملتهبة او لتخفي بخشونتها شخصية المرأة المضطهدة آنذاك ، بل كانت بالرغم من كل ما فيها من شظف عيش ونظرة قاسية الى المرأة جوادة بالشاعرات الرقيقات اللواتي ملأن سماء البيد انشاداً شجياً واشعاراً مستعرة رقيقة .

وحين اذكر شاعرات البادية المبدعات ، اللواتي ارقهن الالم وحرق اكبادهن الحزن الشديد ، يتراءى لي حالا طيف تلك العجوز المقرحة الاجفان ، تجلس الى عمر بن الخطاب في هيبة ووقار وقد لفت نفسها بصدار من الصوف الاسود بعد ان سقتها الحياة الاحزان والآلام كؤوساً مترعة وجرعات كبيرة ، وعمر الى جانبها يخاطبها بقوله: «ما اقرح مآقي عينيك يا خنساء»؟

فتقول : « بكائي على السادات من مضر ».

ويسألها عمر حتى متى يا خنساء ؟ اتقي الله،ان الذي تصنعين ليس من صنع الاسلام وانه لو خلد احد لخلد رسول الله ، وان الذين تبكين هلكوا في الجاهلية وهم اعضاء اللهب وحشو جهنم فتقول الخنساء : « ذاك اطول بعويلي عليهم ». ثم نسمعها بعد ذلك تنشد عمر ابياتها الحرى :

يذكرني طلوع الشمس صخراً — واذكره لكل غروب شمس
ولولا كثرة الباكين حولي — على اخوانهم لقتلت نفسي

فيعذرها عمر ويقول لمن حوله : « اتركوها تبكي ، انها ما تزال حزينة . خلوا سبيل عجوزكم لا ابالكم .فكل امرىء يبكي شجوه » .

وانا اذ ادرس الان شخصية الخنساء ، فانني لا ابغي من ذلك ان اضيف الى ما قيل في شعرها من نقد او تقريظ ولا ان القي ضوءا على ناحية من شعرها لم يتطرق اليها نقد الادباء ، فحسب هذه الشاعرة ان لولا الاعشى لفضلها النابغة على شعراء الموسم في سوق عكاظ بعد ان سمعها تنشد قصيدة في رثاء اخيها صخر.

وحسبها ايضاً اقبال الادباء من عرب ومستشرقين على درس شعرها وشرح ديوانها وترجمة اشعارها الى اللغات الاوروبية ، ونشر المستشرقين بعد ذلك تآليف مخصوصة بها .

هذا الاهتمام بشعرها لم تلاقه قبلها ولا بعدها شاعرة قط ، ولم يتيسر الا لكبار الشعراء وفحولهم في الادب العربي . وفي شعرها قال المبرّد : « من احسن المراثي ما خلط فيه مدح بتفجيع على المرثي ، فاذا اوقع ذلك بكلام صحيح ولهجة معربة ونظم غير متفاوت فهو الغاية من كلام المخلوقين وكذلك رثاء الخنساء.»

ان الخنساء اشهر شاعرات العرب على الاطلاق ، وهي اشهر الرثائيين رجالا كانوا او نساء. فشعرها مرآة لتلك النفس المعذبة على الدوام ، صهرتها الآلام الممضة وعصر الاسى روحها فسال قلبها عبرات لا ينضب معينها فكان من جراء هذا الالم

المبرح وهذه الكلوم الواسعة التي اجرت دموع الخنساء حارة مدرارة ان افاد الادب العربي من عذاب هذه المرأة التي انتجت له ديواناً عمر بقصائد عصماء هي من عيون الشعر ما دام الادب حيا فشقت الخنساء امام الشعراء طريقاً جديداً في عالم الرثاء فاستوحاها كل رثاء بعد ذلك .

اما الذي ابغيه من درسي لشخصية هذه الشاعرة المتألمة التي قضت قسماً وافراً من حياتها في البكاء والنحيب فهو التعرف اليها عن كثب امرأة وزوجة ثم اختاً واماً !!

نشأت الخنساء واسمها الحقيقي تماضر بنت عمر من مضر في بيئة جاهلية شبيهة بكل بيئة عربية جاهلية غيرها في ذلك الزمن.

وليست الخنساء ممن انصفهم التاريخ فامدنا بالمعلومات عن حياتهم ، فقد لحقها اجحاف الرواة واهمال المؤرخين ، حتى ليصعب جداً على الباحث الوقوف على اخبارها واستقصاء المعلومات عنها . ومما لا شك فيه عند الذين تقصوا اخبارها ، انها نشأت في بيت كريم واسع الجاه وافر الثراء وقد كان ابوها ذا نفوذ كبير في قومه ، يساعده على ذلك ثراؤه الطائل وعراقة نسبه . ولقد كان يعتز كثيراً بمكانته ومكانة اولاده حتى روي عنه انه كان يمسك بيد ابنيه صخر ومعاوية في الموسم فيقول : « انا ابو خيري مضر » فلا ينكر عليه ذلك أحد .

اما الخنساء التي نشأت في هذا البيت العريق الكبير المكانة عند العرب ، فلم تكن وهي في شرخ صباها كغيرها من لداتها ممن يستخف برأيهن او يبعن كالسلع لازواجهن دون ان يكون لهن الرأي في تقرير مصيرهن يدلنا على تقدير والدها لها واحترامه لحقها انه استشارها في زواجها يوم تقدم دريد بن الصمة فارس هوازن وسيد بني جشم يخطبها فرفضت الخنساء يد دريد وقالت لابيها « يا ابت ، اتراني تاركة بني عمي مثل عوالي الرماح وناكحة بني جشم ، هامة اليوم او غد » ان مثل هذه الحادثة كاف لان يثبت لنا ان الخنساء تمتعت وهي في بيت والدها بملء الحرية في اختيار رفيق حياتها ، وهو حق حرمته فتيات الجاهلية وما يزال العدد الكبير من الفتيات يحرمن منه حتى يومنا هذا.

وتزوجت الخنساء بعد ذلك مختارة بعبد العزى ، وغادرت بيت ابيها بعد ان نشأت وترعرعت فيه فتاة مغمورة بالحنان ، لها رأيها المحترم ومكانتها المرموقة فكانت البنت البارة والمرأة المرهفة الشعور الطلقة اللسان . اذا تكلمت اصغى اليها القوم ، وان غدت او راحت اجلها كل من رآها .

وفي بيت الزوجية كانت الخنساء مثال المرأة الوفية والزوجة المصون لكنها قاست الكثير من الالم ، وتحملت بمرارة اسراف زوجها الذي كان متلافاً يبذر ما يملك ولا يحسب للدهر حساباً. ومن غير الزوجة الوفية وربة البيت المخلصة يتألم لاسراف الزوج ويتحرق ؟

وذهبت الخنساء الى اخيها صخر مرات ثلاث ، كان يقاسمها نياقه وثروته ويخيرها في انتقاء الشطر الذي تريد بل انه كان يعطيها من نياقه ونعاجه الشطر الافضل ليعينها بعد الخسارات المتتالية التي كان زوجها يوقعها فيها فتغضب عند ذلك زوجة اخيها وتقول : اما كفاك ان تقسم مالك حتى تخيرها ؟فيقول صخر :

والله ما امنحها شرارها ... وهي حصان قد كفتني عارها
ولو اموت مزقت خمارها ... وجعلت من شعر صدارها

ويموت زوج الخنساء فتضطر الى الزواج ثانية من مرداس ابن ابي عامر السلمي وترزق منه باربعة ابناء شبوا كلهم فكانوا على جانب كبير من الشجاعة والفروسية .

وعاشت الخنساء في كنف زوجها الثاني رفيقة تحترم قدسية الزوجية وتحافظ على حرمتها بالوفاء والاخلاص، وكانت لابنائها مثال الام الحنون والهادية التي يرجع اليها اذا ما تأزمت الحال .

لكن القدر كان يضمر للخنساء غدراً ، ويسدد لذلك القلب الفياض بالشعور سهاماً سامة اصابت الخنساء فأثخنت جراحها وسالت الدمع محرقاً من مآقيها .

لقد ذهب الدهر باخيها معاوية،فرفعت الخنساء صوتها بالعويل وهالها موت الفارس المغوار والاخ البار الجواد ، فراحت تولول وتندب وفاض قلبها المكلوم اشعاراً رقيقة بكت فيها وابكت من انشدته اياها .

وهاجمها الدهر مرة ثانية هجوماً عنيفاً فاغتال الردى اخاها صخراً وهو حاميها ودافع الجوع عنها وعن اولادها وهو الفارس الجواد الذي تهابه القبائل وتعتد به العرب فخانت عند ذلك الخنساء قواها وحطمت الآمال قلبها واقرح البكاء مآقي عينيها . فالتفت عند ذلك بصدار من الصوف الاسود وطلقت كل لذة في الحياة، وانطلق لسانها الفصيح يصف هول الفجيعة ويصور الاشجان المحرقة ويرسل الشعر الرقيق الغني بمعانيه الجميلة ، المبكي في تعابيره رثاء مفجعاً وكلاماً يحرك الصخر الاصم .

بكت الخنساء اخويها طويلا وبكتهما حتى آخر ساعات حياتها. فملأت اشعارها احياء العرب ، وتناقل الرواة شعرها الحزين

الذي امتلأ بجميل الصور وجديد المعاني التي لم يكن العرب قد تعرفوا اليها بعد فكانت الخنساء بذلك فاتحة عهد جديد في دنيا الشعر وكانت الخالقة لهذا النوع الجديد في الرثاء اخذه عنها فيما بعد شعراء العرب متأثرين بها .

وادركت الخنساء الاسلام فذهبت الى نبي العرب في وفد من السلميين في السنة الثامنة للهجرة ، واسلمت مع قومها والمعروف انها لم تتعزّ بالاسلام عن آلامها وآهاتها و بقيت على ما كانت عليه من حداد وتفجع . واتفق انها زارت عائشة زوج الرسول يوم اقبلت الى المدينة وعليها صدار اسود من الشعر وهي حليقة الرأس تدب من الكبر على عصا . فقالت لها عائشة :

« أخناس » فقالت : « لبيك ! »

قالت : « اتلبسين الصدار وقد نهى الاسلام عنه ؟ فقالت : « لم اعلم بذلك »

قالت : « وما الذي بلغ بك ما أرى ؟؟ »

قالت: « موت اخي صخر »وروت لها ما كان من امرها مع اخيها صخر ثم انشدتها من شعرها فيه فاثارت شجونها .

هذه الشاعرة التي نشأت في الجاهلية ،فذاقت قساوتها وجفافها وتحملت آلام الحرمان فلم تطق صبراً على فراق اخويها ، وقضت القسم الكبير من حياتها تبكي بكاء مراً موتهما ، اسلمت واعتنقت العقيدة الجديدة التي ايقظت الصحراء من سباتها وخلقت في تلك الاراضي المجدبة امة لها اهدافها و نظمها وسننها وردت الجاهليين الى انسانيتهم فعرفتهم بحقيقة الايمان وبمعنى العقيدة تتغلغل في شعاب النفس فتقوم اعوجاجها وتقضي على جانب الشر فيها وتفتح عيونها على دنيا الخير والبر وآفاق النظم والتقوى .

نعم لقد اسلمت الخنساء وكانت صادقة في اسلامها فدفعت اليه ابناءها الاربعة وقدمتهم في واقعة القادسية فرساناً شجعاناً بعد ان اوصتهم بالقتال والصمود حتى النهاية .

ويشاء القدر الطاغي ان يأتي الخنساء نعي ابنائها الاربعة فتقول : « الحمد لله الذي شرفني بقتلهم جميعاً ، وارجو من ربي ان يجمعني بهم في مستقر رحمته ».

ثم انها بعد ذلك لا تقول فيهم مرثاة واحدة وهي التي ملأت اشعارها في اخويها ديواناً كبيراً !.

وهنا اقف لاتساءل هل جمدت عاطفة الخنساء ؟ والثكل اشد ما تمنى به المرأة وهو اقسى الوان المصائب وانخنها جروحا في قلب الام ؟؟

هذه الشاعرة الكبيرة التي عاشت لتبكي والتي ماتت وهي تبكي اخويها فلم تنفع في تخفيف احزانها لموتهما مؤاساة المؤاسين ولا محاولات التناسي ولم يجد كذلك كر الاعوام ولا وعظ المرشدين ، تضن على ابنائها بقصيدة للذكرى ..!

استغرب ذلك من امرأة مرهفة الشعور متدفقة الالام كالخنساء . ثم اعود الى نفسي فاقول قد يكون الايمان الصحيح خلق فيها هذه الشجاعة المعنوية وهذا الجلد الذي لا يقوى على التمرس به الا الجبابرة الذين عمرت نفوسهم بالايمان فثبت لهم ان الموت في مفهومه الصحيح غير الموت الذي يبكي له الضعاف في نفوسهم وان الحياة في معناها الحق غير الحياة التي يظن البعض انهم يحبونها .

لقد كانت الخنساء في جاهليتها اختاً ملتاعة دائمة النحيب فاصبحت في اسلامها اماً رصينة تستخف بالمحن فحق لها ان تكون من البطلات في التاريخ .

سعاد ابو شقرا

الساقان السوداوان

بقلم سعيد حورانية
من رابطة الكتاب السوريين

لم يعد يشعر بان السجادة جديدة ثمينة ، وان الصور التي كانت معلقة على الحائط توحي اليه بشيء جديد ،وفقد احساسه بانه يجلس على أريكة وثيرة وقد مدد ساقيه على طولها ، فتنهد ، ونظر الى قنينة الويسكي « الجون هيك » التي تبدو كسيدة عجوز تحاول ان تحتفظ بكبريائها وفي كل لحظة يفيض منها ماء الحياة ... ثم قال وهو يرتعش : ـ غالا !! .

ـ نعم يا حبيبي !! . ـ إني سعيد .

وتضحك غالا الحسناء، ويذكره ضحكها بصبي قديم لا يعرف متى التقى به ، فاصلح شعره المنفوش وسعل ، وحبس نفسه ليحمر وجهه ، وضحك ، ضحك طويلا : غالا !! .

ـ نعم يا حبيبي !! . ـ اني سعيد .

وتضحك غالا ويذكره ضحكها بصوت الحصى الرقيق وهو يلقى في الماء ، وشعر كأنه يختنق ، ففك رباط عنقه ، وارسل ياقة قميصه ، واحس كأن شيئاً ينقصه ، فتلفت حواليه ، واخذ يدغدغ ثدييه بيديه ثم يتحدث مع غالا ، والضوء قوي،وصوت سيارة شحن ينفذ من شقوق النوافذ ، وشعوره بالضيق يزداد، وغالا تبدو جميلة ، والصور على الحائط قد باتت مزعجة ، ولكن غالا تبدو جميلة ايضاً، وهو يحبها، وماذا يريد منها اكثر من ذلك ؟ إنها لا تطلب منه مالا على فرط ما معه من مال ، وهي ترفض الا ان تدفع حتى اجرة السينما !! . يا لجسمها البض ... ولكنها ناعمة جداً لدرجة البرودة ، لدرجة تجعله يحس بالامتلاء والرقابة ، وهي تحدثه حديثاً قديماً ولكنه لذيذ جداً ، عن السهرات ، وعن حفلات الرقص ، وعن المتع التي لا تنتهي .. ولكن الضوء قوي ، واصوات مشاجرة تجري في الشارع ، وصفارة حارس الحي تدوي ، وقدماه تؤلمانه ، ولكن غالا تسعده ، لقد تمناها ، وها هوذا قد حصل عليها ، لا شيء ينقصه في الحياة .. يردد هذه الجملة مراراً .. لا شيء ينقصه .. هكذا تقول له امه،وهكذا كان يقول له ابوه وهو يؤمن ان هذا شيء بديهي ، لا شيء ينقصه ، ويتنهد ويشرب كأساً.. الا ترين يا حبيبتي ان الضوء قوي ، وهذه الزجاجة انتهت ، والحر اصبح خانقاً ؟.. انت متعبة ، اتريدين الاستحمام ؟ فليكن ، ساقرأ شيئاً حتى تنتهي ، نعم يا غالا ، نعم يا حبيبتي ، سانام هنا ، فيم تفكرين ؟ ساذهب لافتح نوافذ غرفة النوم .

وذهبت غالا ، فاسرع بفتح النافذة ، واستقبله نسيم بارد منعش ، وزعق قطار بعيد فنظر الى الشارع المقفر ، كم تنام هذه المدينة المزعجة باكراً ، ما احوجه الى ان يمشي ، ان يمشي طويلا حتى الصباح ، حتى اللانهاية ، انه يستطيع ان يفعل أي شيء ، يستطيع ان يشتري هذا البناء الضخم الذي يشمخ امامه.

لا شيء ينقصك، اخوانه في المدرسة كانوا يقولونها له ايضاً، يقولونها ووجه ساخر هادىء معروق يرقبه من خلال الجماعة ويبصق على الارض ، واستنشق الهواء بعمق ، ستنتظره غالا ، انها نزهة صغيرة ..

وهبط الى الشارع ، ورد على تحية الحارس ، واغمضت عينيه سيارة قادمة فتساءل عن مصير سيارته في شعبة التصليح ، ايستطيع العامل ان يردها الى هيئتها الاولى بعد صدمتها التي نجا منها باعجوبة ؟

وكانت ضربات حذائه اللامع على الارض فيها انسجام ورتابة، فتلفت حوله بحيرة ، وتمنى ان يفعل اي شيء ، ان يأتي باية حركة ، ماذا يصير في الدنيا ان طرق هذا الباب سائلا عن صديق له ذاكراً اسماً مزيفاً ؟ او طرق هذا الباب الصغير حتى اذا خرج احدهم لم يشك فيه ؟ وكيف يشك فيه وهو في مثل هذه الوجاهة ؟.. لا شيء ينقصك !!.

تلفت حواليه ، كل شيء يبدو بليداً حوله ، حتى هو يحس بالخمول ، وتمنى ان يشهد اي شيء يسليه ، مظاهرة في الشارع مثلا ، فلماً سينمائياً ، اقفلت دور السينما الان ونظر في ساعته ، واسترعت انتباهه ضجة ضعيفة .. كيف كان يمر امام هذه الخمارة دائماً ولا يدخلها ؟ اليس مشهداً طريفاً ان يدخل ؟

ـ عندك ويسكي ؟
ـ وطني ؟ ـ لا ، جون هيك؟
ـ ما في ـ عندك كونياك ؟
ـ وطني ؟ ـ لا ، كيموس .
ـ ما في عندك ..



فقال صاحب الخمارة بضيق وهو يحك انفه اللامع : ـ عندي عرق ونبيت وويسكي وكونياك وطني والسلام .

ـ هات كاس كونياك ـ هات كاس للافندي يا جبران .

وحملق فيا حوله ، وزجاجات النبيذ القديمة مصففة على الرف يعلوها غبار كثيف ، وتبدو اعناقها كقمم عتيقة لبيوت كنائسية شاهدها مرة في السينما ، وتلفت حوله وهو يقاوم التقزز الذي الم به من جرعة صغيرة ، اكوام من الرجال يدخنون ويشربون ويحكون معاً ، يتجمهرون حول طاولات مخلعة كانهم يمسكون بايديهم حطام سفينة غارقة ، وكان احدهم يحك رأسه بكلتا يديه ويضرب الارض بقوة ، وعيناه اللتان غارتا في كتلة من لحم احمر مخربش تحاولان مقاومة النوم ، بينما كان آخر يسند رأسه الى الحائط الملوث بالدهن والمغطى باعلانات سينمائية قديمة ويدندن باغنية لم يسمعها من قبل .. وكانت الكلمات تصل اليه مختلطة متشابكة .

ـ كاسك اخي صلاح ـ صحة وعافية .

وكانت كلمات .. كوريا .. الاستقلال ، مصر تأتي اليه مع الاغنية الجديدة .

ـ والله ، يشرب كأس اخي صلاح .. انت الكلام لك .. ابو اكرم .

ـ والله ما سمعت .. طيب مرة ثانية .

ـ كاسك اخي صلاح ـ صحة وعافية ..

وشرب الكأس الثالثة من الكونياك ثم خرج وهو يضرب بيده على بطنه ، واحس بحاجة الى القيء فقاوم . ترى لوجلس معهم الان، اكانوا يعرفون انه غني وانه يستطيع ان يفرق عليهم المال الكثير ؟.. ويسرع الى الحائط ليقيء .. وظل متطاول يقف امامه .

ـ يا حضرة الاخ ، يا حضرة الاخ ، هل هناك مراحيض في هذه الناحية ؟..

ويسير من جديد ، ترى هل انتهت غالا من الحمام ؟ ما اشد الحر في البيت الفخم ، لعنة الله على هذا الكونياك الرخيص .

وبدا له شبحان من بعيد يتقدمان نحوه، احدهما شبح اسود، انها امرأة بدون شك، وكان يسمع همسهما من بعيد، والنظرات المتلصلصة التي تلقيها المرأة حولها كانت تسره وتبهجه ، وانقطع الهمس حين تقدم ، ولما جاوزهما سمع الهمس يعود ويبتعد شيئاً فشيئاً ثم ينقطع .

ومن جديد سمع وراءه وقع خطوات ، فتلفت ليرى الشبح الاسود وحده يتقدم حتى يلاصقه ، فيتردد قليلا ثم يبتعد وهو ينظر الى الخلف كلما مشى عدة خطوات ووجد نفسه يهمس :

ـ سست ست .

فالتفتت المرأة في الحال ثم تابعت سيرها .

فضحك بسخرية ثم اسرع حتى حاذاها فقالت بقسوة :

ـ ماذا تريد ؟ مشغولة ؟

ـ ومن تظنني ؟ ـ هف .. العمى .. قولي مشغولة ؟

لا .. كم تدفع ؟

ـ كم دفع لك ذلك الذي كان معك ؟

ـ الوحش..تصور ليرة وربع من يظنني؟حمارة، بقرة، كلبة؟.

ـ طيب لا تغضبي .. أنا ادفع لك ليرة ونصف

ـ كم ؟ ليرة ونصف ؟

ونظرت الى هندامه باحتقار ثم قالت :

ـ الله يلعن هذه الليلة ، الله رماني بزبونات مثلكم .

ـ ولو ، طيب ليرتين ، لا تجادلي لن ادفع اكثر .

وضحك في سره، كم ستنفرج شفتاه عن بسمة ساخرة عندما يخرج لها خمسين ليرة ويقول لها من طرف أنفه. ـ معك فرط ؟

قال لها بهدوء وبصوت هامس ـ قولي .. عندك محل ؟

ـ لا ... عندك أنت ؟ ـ لا .

ففكرت قليلا ثم نظرت اليه بتردد وقالت :

ـ في البناية المجاورة ، في الطابق الثاني يوجد بيت مهجور وامامه فسحة، فاذا نزل أحد من فوق او طلع احد من تحت سمعناه

فقال وهو يكتم ضحكة عريضة ويفكر بفراش غالا الوثير :

ـ عظيم ، من اين اتيت بهذا المخبأ الفخم ؟

ـ أسرع ، لا تضيع الوقت .

ومشى معها كانه مسحور، وانزاح ذلك العبء الذي كان يجثم على صدره ، وفكر بان العالم يبدو طريفاً في بعض الاحيان ، وفهم لماذا يبدو بعض الناس متحمسين ، إنها مغامرة طريفة لا شيء ينقصك .. هل تظن هذه المرأة انه ، إنها تسرع .. يا للمسكينة . وجاءه صوتها الحذر :

ـ هنا ، اصعد ، هناك حارس في هذه المنطقة .

وصعد بحركة آلية ووقف يتأملها وهي تخلع البرقع فكاد يقفز من الهلع ، رأى وجهاً مخيفاً اكله الجدري اكلا فكانه مساكن النمل او جحور الديدان ، وفي وسطه تقوم عينان قاسيتان القى

عليها ضوء الشارع الذي يدخل من نافذة الدرج خطوطاً مفزعة.

قاوم انتي، ورجعت اليه سخريته وراقها وهي تخلع معطفها وتفرشه على الارض، ثم تتمدد، وسيقانها السود الهزيلة تلمع في الضوء الخفيف كأفاع متلوية. وهنا انفجرت من فمه ضحكة طويلة، قهقه بجنون وتشف، وخيل اليه ان العالم مضحك لدرجة لا يكاد يتصورها العقل، اخذ يضحك بعمق وقوة حتى اندفعت من عينيه الدموع، ووضع يديه على بطنه وهو يتلوى كالمسعور.

ولكنه قطع ضحكه فجأة لان المرأة انتصبت امامه، وخيل اليه ان عينيها تضربانه بالسياط. - ما بك يا ابن الكلب؟

فانتصبت اذناه كفرس جامح، لم يتصور ان في العالم احداً يستطيع ان يهينه مثل هذه الاهانة، فنظر اليها كانه ينظر الى حيوان غريب، وتابع ضحكه وهو يمد يده الى جيبه فينتزع خمسين ليرة كاملة ويقول: - لا تغضبي، خذي هذه الخمسين ليرة، اضحكي حتى ارى، قلت اضحكي.

واخذ يقهقه بشدة، وهو يتخيل ساقيها السوداوين الهزيلتين، ووجهها المجدور المشوه، وحركاتها الحذرة، ومد يده والقى اليها بالورقة، ثم استدار لينزل وهو يضحك، ولكنه تسمر في وقفته كانما قد صعق، فقد فجأه صوت هائل لم يسمع مثله في حياته:

- يا كلب، يا جبان، خذ، هل تظن انني محتاجة لمالك؟ الله يفضحك، الله ينتقم منك..

وشعر بيدها تلامس وجهه ملتهبة فتقذف بالورقة بين عينيه. الله يفضحك.. الله ينتقم منك.

***

كان النسيم قد تحرك بعض الشيء، وخطواته تتجه نحو البيت رتيبة، منسجمة، لا شيء ينقصك، وارتجف بعنف وشعر بحاجة لان يبكي، بحاجة لان يرى امه واباه واصدقاءه الكثر، وخيل اليه ان الوجه المعروق القديم، قد برز له من وراء عمود الشارع، وشعر بالبرد رغم الهواء المعتدل، إنه خائف يطارده صوت ذئبي ينشج بعصبية من وراء البرقع، هو بحاجة الى ان يصل سريعاً الى البيت وينام ليفيق باكراً ويستلم سيارته.

وفكر بان الدنيا مخيفة وانه صغير يحتاج الى ان يضيع بين المجموع فيتحرك دون ان يشعر به احد، ويتنفس بحرية، لا شيء ينقصك، هه.. كم يتمنى ان ينام.

احس بالراحة حينما وجد الاضواء لا تزال منيرة في منزل غالا، ولما وقفت امامه وقد اخفت شعرها الفاحم تحت منشفة صغيرة.. اندفع اليها يغرقها بالقبل، ويضمها اليه بعنف غير مبال بدهشتها. ولما جلس اخيراً على المقعد متهالكاً واضعاً يديه في جيبيه تنفس بارتياح. ولكنه امتقع لونه حينما اصطدمت يده بشيء جاف اخذ يخش في جيبه، فاخرج الخمسين ليرة، واخذ ينظر اليها ثم التفت الى غالا وقال باستعطاف.

- خذي هذه، واشتري بها شيئاً..

رفعت حاجبيها بدهشة وقالت بملل وغضب.

- عدنا الى هذا الحديث؟ الم نتفق..

فقال بعنف: - طيب، طيب، لا تأخذيها.

ثم قال كالحالم: - يا غالا.. على كل حال لست وحدك.. التي لا تأخذين!!.

ونهض نحو النافذة واخذ يملأ رئتيه من النسيم المنعش وهو يراقب شبحاً يتقدم من بعيد، حتى اذا صار تحت النافذة، دس يده في جيبه بسرعة والقى بالورقة، ثم اخذ ينظر اليها وهي تتأرجح حتى وقعت بين رجلي الصبي الذي انقض عليها ثم اخذ يجري ويجري كانما تطارده الشياطين.

دمشق — سعيد حورانية

مستحمة

☆

لفؤاد الخشن

من « اسرة الجيل الملهم »

☆

أرأيتها والموج طوّق خصرها
هزجاً ، ودغدغ عريها مترنما !!
تبغي التخلص والمياه تردها
فيمور ثائر صدرها متضرما
ويرف خلف غلالة مبلولة
بحبيبة شقراء قد قطرت دما
يهتاجها النَّسمُ الحنون بلمسه
ويمر فوق عبيرها مستلهما ...

***

غاصت فلف الماء طيّع جسمها
وهوى الجمال براحتيه وغمغما
والموج مد ذراعه لعناقها
وانهار عند كنوزها واستسلما
وطفت فراح الرغو يغمر نهدها
وكراته تطفو عليه لتلثما !!
فكأنها زمرُ الفراش لهوفةً
وكأن كل فراشة بعثت فما !

***

أرأيت فينوس الجمال طريحة
في الشط تحضنها الرمال تنعما
وامامها الامواج قبلة واله
اهوى على القدم الصغيرة وارتمى
لم يكفه ما ناله ... وكأنه
يأبى ، على رغم المدى ، أن يحرما
لم يحظ بالجسد الشهي وضمه
فانهار دون مراده وتحطما !

في طريق الميثولوجيا عند العرب

بقلم محمود الحوت

استاذ في العلوم



الباب الرابع : عبادات العرب الاخرى

الفصل الاول : تقديس الانسان والحيوان والنبات

تقديس الانسان

لقد كان مجتمع القربى عندهم اصل المجتمع الديني، وكل واجبات القربى كانت قسماً من الدين١) ولعل في قصة الاصنام الخمسة، اصنام قوم نوح، اشارة الى هذا المعتقد، الم يكونوا قوماً صالحين كما ذكرنا، ماتوا فنحتت صورهم وعبدوا ؟ وفي حديث موت عامر بن الطفيل برهان آخر على تعظيم الموتى بين عرب الجاهلية . قال ابو عبيدة : « لما مات عامر بن الطفيل بعد منصرفه عن النبي «صلعم» نصبت عليه بنو عامر أنصاباً ميلا في ميل حمى على قبره لا ينشر فيه ماشية، ولا يرعى، ولا يسلكه راكب ولا ماش » وكان رجل منهم يقال له حيان بن سلمى غائباً ، فلما قدم قال : « ما هذه الانصاب؟ قالوا : نصبناها حمى لقبر عامر بن الطفيل ! فقال : ضيقتم على أبي علي ! ان أبا علي بان من الناس بثلاث: كان لا يعطش حتى يعطش الجمل ، وكان لا يضل حتى يضل النجم، وكان لا يجبن حتى يجبن السيل٢) » .

فالعرب ، اذاً ، في تعظيمهم الرؤساء كانوا كشأن غيرهم ممن عظموا الملوك تعظيم العبادة مع فرق ما تستوجبه الحياة ومقتضياتها . وهم ، ما داموا غير مرتبطين ربطاً وثيقاً بآله ، ولا يجمعهم دين عام كما تجمعهم اواصر القبيلة التي كانت مثال العروة الوثقى بينهم ، فلماذا لا يعظمون ويقدسون سيدها او يرفعونه الى مكانة العبادة ؟ وكان من بين هؤلاء الاسياد من يصبو الى هذه المكانة . سئل ابن الطفيل ، وقد اسلم الناس، ان يسلم فقال: « والله لقد كنت آليت ان لا انتهي حتى تتبع العرب عقبي فاتبع انا هذا الفتى من قريش١) ؟! » .

ولقد عاصر عامر بن الطفيل رجل آخر قيل ان بعضاً من القبائل كانت تحج بيته . وهو الزبرقان بن بدر . ينقل الجارم عن السهيلي قوله: «وكان الزبرقان يرفع له بيت من عمائم وثياب وينضح بالزعفران والطيب، وكانت بنو تميم تحج ذلك البيت٢)» والزبرقان شاعر جميل ـ كما في الطبري ـ اسمه الحصين ويلقب بقمر نجد . وكان من اشراف بني تميم ، وهو القائل مفتخراً ومشيراً الى حج العرب بيته :

نحن الكرام فلا حي يعادلنا   منا الملوك وفينا تنصب البيع٣)

غير ان ما حدثونا عن عمرو بن لحي وعن ابتداعاته الدينية في الجاهلية ، لاقرب الى ما نحن في صدده من تعظيم العرب رؤساءهم ، وتقديس زعمائهم . والازرقي في كلامه عن هذا الكاهن يقول انه : « بلغ بمكة وفي العرب من الشرف ما لم يبلغ عربي قبله ولا بعده في الجاهلية ... وكان قد ذهب شرفه في العرب كل مذهب ، وكان قوله فيهم ديناً متبعاً لا يخالف٤) » . على ان منهم من ذهب الى ابعد من ذلك فزعم انه صار « للعرب رباً لا يبتدع لهم بدعة الا اتخذوها شرعة،لانه كان يطعم الناس ويكسوهم في الموسم ، وربما نحر لهم في الموسم عشرة آلاف

---

١) R. Smith : Religion of the Semites, London 1894 ص ٤٧ ، ٤٨

٢) ص ١٣٩ ج ١٥ الأغاني

---

١) ص ١٣٧ ج ١٥ الأغاني

٢) ص ١٢٤ محمد نعمان الجارم: اديان العرب في الجاهلية مصر ١٩٢٣

٣) ص ١٧١٢ـ١٣ ، ص ٢٣٥٨ ج ٢ تاريخ الطبري

٤) ص ٥٨ اخبار مكة ـ ليبزك ١٨٥٨ للازرقي

بدنة، وكسا عشرة آلاف حلة[1]» ولا عجب من بدوي ذي دين رقيق او غير ذي دين ان يؤله مثل عمرو بن لحي ... واذا اضفنا الى هذه الاسباب كهانة الخزاعي وانه كان لديه - كما ذكرنا - رئي من الجن، كان ذلك كافياً لبدوي الجاهلية ان يضع مثل هذا الكاهن - وخصوصاً اذا كان زعيمه - موضع التقديس، او يرفعه الى مكانة التأليه والعبادة.

تقديس الحيوان

ومن مبتدعات هذا الكاهن عدا تغييره دين ابراهيم - فيما يزعمون - ونصبه الاوثان، انه كان اول من بحّر « البحيرة » وسيب « السائبة » ووصل « الوصيلة » وحمى « الحامي[2] ».

« فالبحيرة » ابنة « السائبة ».

« والسائبة » الناقة اذا تابعت ثنتي عشرة اناثاً ليس فيها ذكر سيبت. فلم يركب ظهرها، ولم يجز وبرها، ولم يشرب لبنها الا ضيف، فما نتجت بعد ذلك من انثى شقت اذنها ثم خلي سبيلها « وهي البحيرة » مع امها في الابل، فلم يركب ظهرها ايضاً، ولم يجز وبرها، ولم يشرب لبنها الا ضيف.

« والوصيلة »، الشاة اذا نتجت عشر اناث في خمسة ابطن ليس فيهن ذكر جعلت وصيلة، قالوا: وصلت فكان ما ولدت بعد ذلك للذكور بينهم دون اناثهم، الى ان يموت منها شيء فيشتركون في اكله ذكورهم واناثهم.

اما « الحامي » فهو الفحل اذا نتج له عشر اناث متتابعات ليس بينهم ذكر. عندئذ يحمى ظهره، ولا يجز وبره بل يخلّى في الابل يضرب فيها ولا ينتفع به بغير ذلك[3].

ولربما تبع هذه الحيوانات المقدسة ما سرق من الماشية، او ضل والتجأ الى حمى إله من الآلهة العديدة، حيث يتمتع بنفس الحرية التي تتمتع بها البحيرة وغيرها، وهي تعد احياناً من ممتلكات الآلهة[4]. وفي حديث مالك بن كلثوم مع سادن صنم طي، اشارة الى ذلك. فقد الطرد هذا السادن، ويقال له صيفي، ناقة لامرأة من كلب، فطلبها لها جارها الشريف مالك بن كلثوم. فرد عليه السادن بقوله: انها لربك[1]!.

وفي سورة الانعام وردت آية حديثاً عن هذه الحيوانات المقدسة وما يرون فيها: « وقالوا هذه انعام وحرث حجر لا يطعمها الا من نشاء، بزعمهم، وانعام حرمت ظهورها، وانعام لا يذكرون اسم الله عليها[2] ». والبيضاوي يقول ان معنى حجر « حرام » والمراد بمن نشاء « خدم الاوثان والرجال دون النساء » والتي حرمت ظهورها هي « البحائر والسوائب والحوامي » وهم لا يذكرون اسم الله عليها « في الذبح » « وانما يذكرون اسماء الاصنام »[3]. ومن المعلوم انه ورد في المائدة ما انكر عليهم اعتقادهم هذا وهو: « ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة وصيلة ولا حام »[4].

ويظهر من حديث مالك بن كلثوم المذكور ان هذه الابل المحرمة كانت تحل احياناً، فقد بوأ مالك للسادن بالرمح عندما قال له انها لربك، واخذ الناقة ثم ارجعها حلالا الى جارته. ويروى انه أغير يوماً على ابل « الجرية بن اوس » واطردوها غير ناقة فيها مما يحرّم اهل الجاهلية ركوبه. وذهب القوم في الابل غير تلك الناقة الحرام فانهم اخرجوها، وكرهوا ان تكون في الابل. وبلغ « جرية » الخبر فقال لابن اخته: رد علي الناقة لعلي اركبها في أثر القوم، فقال: انها حرام. وعندئذ قال « جرية »: حرام يُركب من لا حلال له » .. وركبها في اثر الابل فانقذها، واصدر قوله مثلا[5].

ولقد مر معنا الكلام عن غزالي مكة اللذين اكتشفهما عبد المطلب في زمزم، وعلمنا ايضاً ان هنالك عدداً في قائمة الآلهة العربية يحمل اسماء حيوانات كاسد، وعوف، واليعبوب، ونسر ... والاخير - وهو طير - يذكرنا بتقديس العرب حمام مكة المحرم .. حتى انهم اوجدوا هنالك إله دعوه « مطعم الطير » نصبوه على المروة، كما ان هنالك بين الاصنام ما كان يهدى له الشعير والحنطة[6].

والحقيقة ان معلوماتنا المبنية حتى اليوم على الروايات في هذا الشأن ضئيلة جداً، فلا نكاد نعلم شيئاً عن ميزات تلك الحيوانات

---

1) ص ١٣ ج ١ السيرة الحلبية، مصر ١٢٩٢ للحلبي
2) ص ٥١ السيرة لابن هشام
3) التفصيلات في تفسير الطبري ص ٥٣ ج ٧ وهنالك اقوال لابن اسحاق وابن هشام لا تختلف في الجوهر عما ذكرنا. ولتراجع في السيرة لابن هشام ص ٥٧ - ٥٨
4) ص ١٤٩ Smith : Religion of the Semites

1) اطلب الحديث في ص ٦٠ من كتاب الاصنام
2) س ٦ آية ١٣٩
3) ص ٣١١ ج ١ انوار التنزيل واسرار التأويل ليبزك ١٨٤٦ - ١٨٤٨ للبيضاوي 4) س ٥ آية ١٠٢
5) يراجع ص ١٩ امثال العرب: قسطنطينية ١٣٠٠ للضبي
6) ص ٧٨ اخبار مكة

الدينية، وشعائرها، على انه يبين ان فكرة نزول هذه الحيوانات ضيوفاً على الآلهة لم تكن غريبة عن العقلية العربية. وان اطعامها كان عملا دينياً في كثير من الانظمة الوثنية، وخصوصاً في مصر حيث كانت حتى الكلاب تعظم وتاكل اكلا مقدساً. وهل أنوبيس الاله سوى كلب مقدس١) ؟

ولا ندري اذا كانت حيوانات العرب المقدسة في الجاهلية قد ارتفعت الى مكانة هذا الكلب؟! او الى مكانة عمل بني اسرائيل الذي ورد ذكره في الكتاب ؟ «واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسداً له خوار»٢) غير ان الجارم ينقل عن السهيلي من حديثه عن قدوم وفد طيء على الرسول ما ملخصه: خرج نفر من طيء يريدون النبي بالمدينة وفوداً، فلما وصلوا عقلوا رواحلهم بفناء المسجد. ودخلوا فجلسوا قريباً من النبي حيث يسمعون صوته. فلما نظر اليهم قال: اني خير لكم من العزى ولاتها ومن الجمل الاسود الذي تعبدونه من دون الله. وفي نفس المصدر حديث عن عمرو بن حبيب واغارته على بني بكر حيث أصاب سقباً كانوا يعبدونه من دون الله، ونحره اغاظة لهم وأكله٣). فاذا صح ذلك، كانت العرب قد ضربت في هذا النوع من الدين الطوطمي بسهم وافر.

والطوطم، او الحيوان المقدس Totem لم يعد مطلقاً لغذاء الا في حالات دينية استثنائية نادرة، حيث تنتعش حياة القبيلة وتتجدد باشتراكها مع الآله في قسمة هذا الحيوان. وسيأتي معنا أنهم كانوا يتناولون لحم العتيرة بينما يكتفي الرب بالروح او بالدم الذي يراق على راس النصب او الصنم.

فالطوطمية Totemism قد عرفت ـ كما يرى البعض ـ بين بعض القبائل معتمدين على وجود افراد وعشائر دعوا باسماء الحيوانات والحقيقة ان العرب سمت باسماء الحيوانات كما سمت باسماء الطير والزواحف والهوام فكان بينهم عنبس، وحيدرة، واسامة، وهرثمة « بمعنى الاسد » وكان بينهم اوس، وذؤالة، ونهشل « بمعنى الذئب » وكذلك كلثوم « الفيل » والحنش والاراقم « الحيات ». وكان من بينهم هوزة «القطاة» والقطامي «الصقر» واليعقوب « ذكر الحجل » والهيثم « فرخ العقاب » وعكرمة « الحمامة »، وكذلك جندب «الجرادة» والذر «أصغر النمل»

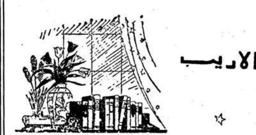
---

١) راجع ص ٢٢٥ ـ ٦ Smith : Religion of the Semites

٢) س ٧ آية ١٤٧ ولتراجع س ٢ آية ٤٨، ٥١، ٨٦، ٨٧

٣) ص ١٢٤ اديان العرب في الجاهلية

الاديب



☆

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير، كانون الثاني
تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي:

الاشتراك العادي:

في لبنان وسوريا: ١٢ ليرة
في الخارج: ١٥٠ قرشا مصريا او ٦ دولارات ونصف
في الولايات المتحدة ١٠ دولارات في الارجنتين ١٠٠ ريال

اشتراك الانصار:

في لبنان وسوريا: ١٢٠ ليرة كحد اعلى
في الخارج: ١٤ جنيها مصريا او استرلينيا
او ٦٠ دولار كحد اعلى



المقالات التي ترسل الى الاديب، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر
للاعلان تراجع ادارة المجلة

•

ادارة الاديب: باب ادريس، شارع الكبوشية

تليفون { الادارة: ٤٧ ـ ٩٢ / المنزل: ٣٧ ـ ٤٨ } { Direct. : 92 - 47 / Dcle. : 48 - 37 } Tél.

☆

صاحب المجلة ورئيس تحريرها: **البير أديب**

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي:
مجلة الأديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨
بيروت ـ لبنان

والعلس « القراد » والقرعة « القملة » وغيرها١)

أما نحن فلا نعلم حتى اليوم علم اليقين لماذا سميت الافراد والقبائل بمثل هذه الاسماء وبهذا لا نجرؤ على الحكم الجازم بوجود الطوطمية، وان يرى القائلون بها حالات عدة تؤكد هذا الوجود وتثبت ان الحيوان والرجل انما كانا اخوة بالدم٢). ولقد رد زيدان على هؤلاء في كتابه الصغير أنساب العرب٣) فليراجع.

تقديس النبات

ولم يكن تقديس الاشجار بين عرب الجاهلية باقل من تقديس الحيوانات ونخص بالذكر شجرة النخيل التي كانت تؤلف قواماً من مقومات حياتهم، والتي لا بد ان تكون قد عبدت٤) وقدست لهذه الميزة.

وليس بعيداً ان ينشأ في بلاد اعظمها عقيم أجرد صحراوي، شيء من تعظيم الاشجار والحج اليها في ظروف مباشرة وغير مباشرة ليؤدى لها نوع من العبادة والتقديس. ونعلم ان الواحات ومساقط الامطار التي كانت تساعد على ان تكون مراكز تجارية يوم كانت الصحراء قبل اجيال من الاسلام طريقاً هاماً للتجارة الشرقية، لا بد وان تكون اماكن عبادة ايضاً يحج اليها من الاطراف. ويذهب Smith الى ابعد من ذلك فيقول ان تقدم الشعائر الدينية لم يكن مديناً الى البدو الاقحاح، وانما لهذه المستعمرات الزراعية والتجارية ــ من سامية ويمنية وآرامية ــ والتي لا يفدها البدو الا كحجاج يؤدون فرضاً دينياً او يوفون بنذر٥).

واكبر دليل على تقديس العرب للاشجار حديث الخليفة الراشد ابن الخطاب في شأن شجرة الحديبية. فلقد بلغه ــ على ما ذكر ياقوت ــ ان الناس يكثرون قصدها وزيارتها والتبرك بها فخشي ان تعبد كما عبدت اللات والعزى، فامر بقطعها واعدامها فاصبح الناس فلم يروا لها أثراً. والشجرة هذه هي المعنية بالآية: « لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة»٦). ومن تفسير البيضاوي للآية يفهم ان هذه الشجرة كانت سمرة او سدرة٧).

....

١) يراجع ص ٧٠ ـ ٧٤ ادب الكاتب، مصر ١٣٥٥ : لابن قتيبة

٢) ص ٢٥١ جـ ٩ .Enc. of Rel   ٣) قبل قراءة زيدان يستحسن مراجعة : R. Smith Kinship and Marriage in Early Arabia

٤) ص ١٠٩ R. Smith : Religion of the Semites

٥) ص ١٠٩ Rel. of the Semites   ٦) س ٤٨ آية ١٨

٧) ص ٢٦٩ جـ ٢ البيضاوي

وابن اسحاق في كلامه عن ابتداء وقوع النصرانية بنجران يقول: « واهل نجران يومئذ على دين العرب يعبدون نخلة طويلة بين اظهرهم لها عيد كل سنة. اذا كان ذلك العيد علقوا عليها كل ثوب حسن وجدوه وحلي النساء ثم خرجوا اليها فعكفوا عليها يوماً »١).

ولم تكن هذه العبادة لتقتصر على اهل نجران وغيرهم من سكان الجنوب، فقد جاء في السيرة أيضاً: « وكانت لكفار قريش ومن سواهم من العرب شجرة عظيمة خضراء يقال لها ذات أنواط يأتونها كل سنة فيعلقون اسلحتهم عليها ويذبحون عندها ويعكفون عليها يوماً »٢). وقال الحارث بن مالك الليثي، وكان فيمن خرجوا مع الرسول الى حنين: خرجنا مع الرسول الى حنين ونحن حديثو عهد بالجاهلية، فرأينا ونحن نسير معه سدرة خضراء عظيمة، فتنادينا من جنبات الطريق: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات انواط! فقال الرسول: الله اكبر! قلتم، والذي نفس محمد بيده، كما قال قوم موسى لموسى اجعل لنا الهاً كما لهم آلهة٣).

وكذلك حديثنا عن العزى لم يخل من الاشارة الى ان العزى كانت تعبد بشجرة مقدسة، او كانت هي نفسها شجرة...

ومن المفيد ان نشير بهذه المناسبة الى أنه كان لعبادة الاشجار بين السريان الوثنيين مكانة عظيمة، كما انها كانت عامة في بلاد اليونان الذين تحدثت اساطيرهم عن تحول الآلهة الى اشجار، او عن نمو الشجر في دماء الآلهة٤).

وعلى ما يظهر ان تقديس الاشجار قد استمر شيء منه في بلاد العرب حتى ايامنا هذه. يأخذ سمث عن Doughty ٥) ان هذه الاشجار المقدسة تسمى عندهم « مناهل » ينزلها الملائكة او الجن حيث تسمع فيها راقصة او مغنية! ومن الخطورة بمكان عظيم ان يقطع ولو غصن صغير منها. وهي تعظم بتقديمهم لها الضحايا، وتعليقهم قسماً من اللحوم عليها، وكذلك الخرز والمزق. ومما يذكر انها تشفي المريض اذا نام تحتها، حيث يرشد وهو نائم الى طريقة

....

١) ص ٢٢ السيرة لابن هشام. وانظر تاريخ الطبري ص ٩٢٢ جـ ١

٢) ص ٨٤٤ السيرة لابن هشام

٣) ص ٨٤٤ السيرة لابن هشام. وراجع اخبار مكة ص ٨٢ ـ ٣

٤) ص ١٨٦، ١٩١ Religion of the Semites

٥) ص ٤٤٨ جـ ١: M. Doughty : Travels in Arabia Deserta, Cambridge 1888

يستعيد بها صحته ١) .

الفصل الثاني

القول في جملة معتقدات

عود على بدء

في كلامنا عن عبادة الاحجار فيما سبق ذكرنا ان قسما من العرب في الجزيرة كان يدين بشريعة ابراهيم التي تلقوها من ابنه اسماعيل ... ذلك النبي الذي اعطى للعرب الحجازيين اسمه ونشر بينهم دينه حيث آمنوا بالله الواحد، وبالبعث، وقاموا بالفرائض وتعظيم البيت والعمرة والحج اليه والطواف به . والسعي بين الصفا والمروة والوقوف على عرفة ومزدلفة وهدْي البدن والاهلال وغير ذلك من المناسك الدينية . وحري ان ينكر عبادة الاحجار من كان مثل الحنيفية دينه وان يأنف من تجسد الاله في صخر أصم.

ثم قلنا ان كلا من الديانتين اليهودية والنصرانية قد عرف في الجزيرة قبل الاسلام بكثير، واشرنا الى وجود افراد بين العرب انفسهم كانوا على شيء من البصيرة في الاديان على ما يظهر، فاعترفوا بوجود الله وسفهوا عبادة الاحجار وان لم يعرف عنهم انهم كانوا على دين .. وتخلصنا بعد ذلك كله الى حديث الحجارة المؤلهة من اصنام واوثان وانصاب ، وأفضنا بشرح الكثير من آلهة العرب قبل الاسلام .

على انا اذا رجعنا الى القرآن نستفسره عن شأن عبدة الاصنام ، افدنا ان قسماً كبيراً منهم كانوا يعتقدون بعبادتهم الاصنام عبادة الله تعالى: «والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى »٢) وفي اخرى : « وما

---

١) ص ١٨٥ ، ١٨٦ Rel.of the Semites

٢) س ٣٩ آية ٤

يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون» ١)

وقد مر معنا كيف ان قريشاً كانت تطوف بالكعبة وتقول: واللات والعزى، ومناة الثالثة الاخرى ، فانهن الغرانيق العلى، وان شفاعتهن لترتجى .

والآيات التي تثبت ايمانهم بان الله خالقهم وخالق السموات والارض وانه مدبر امور الكون ، كثيرة . وعليه نرى ان هذه المعتقدات حجة بيد من قالوا ان العرب كانت على دين اسماعيل ثم سلخ بهم الى عبادة الحجارة طول الامد والبعد عن زمن النبوة ، ونزوحهم عن مكة وانتشارهم في البلاد . وعظيم الاحتمال - ان كانوا كذلك - ان لا يؤدي بهم الحدثان الى نسيان كل ما كانوا عليه . فقد عبدوا الاصنام ، وفيهم بقايا من عهد اسماعيل وابراهيم يتنسكون بها .

---

١) س ١٢ آية ١٠٦

انكار الرسل

وكما اشركت عباد الاصنام بالله آلهة اخرى ، كذلك جحد الكثيرون ارسال الرسل . وكيف يكون هذا النبي او ذاك

مرسلا من عند الله ، وهو بشر مثلهم يأكل ويشرب وينام ؟! ان البدوي بما يؤثر عنه من صعوبة الانقياد وضعف الشعور الديني ـ بالنسبة الى كرامته الفردية والقبلية ـ والتفاني في الحرية الشخصية ، ليصعب عليه الانصياع الى رجل مثله يطلب منه الطاعة التامة ، وهدم الكثير مما كان عليه من المعتقدات والعادات اجيالا ، وليجدر به ان يجحد ارسال مثل هذا الرجل !! فهو يستصغر نفسه ان يبعث اليه بشر رسولا .. فاما Superhuman والا فلا ! وقد جاء في القرآن : « وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا ان قالوا أبعث الله بشراً رسولا »١) .. « وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا . او يلقى اليه كنز او تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحوراً٢) »

انكار البعث

وكذلك انكروا البعث . فان عقلية البدوي البسيطة لم يكن بوسعها ان تؤمن بحياة اخرى ، وخيالهم لم يتسع الى تصور نشر جديد بعد ظلمة القبر وفناء الجسد بمواد الارض وصيرورته هيولى جديدة . وقد ورد شيء في اشعارهم يشك بالبعث ، قال شداد بن الاسود الليثي من قصيدة يرثي بها مشركي قريش يوم بدر ، وكان نفسه قد اسلم ثم ارتد :

يخبرنا الرسول بان سنحيى وكيف حياة اصداء وهام(٣)

وفي هذا الشك يقول شاعر جاهلي :

حياة ثم موت ثم بعث حديث خرافة يا ام عمرو(٤)

وقال الكتاب على لسان هؤلاء القوم : « أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون . او آباؤنا الاولون»٥) . ولعل في حديث الهامة واعتقادهم بها شيئاً من الاعتقاد في التناسخ وتنقل الإرواح . ولقد انكر الرسول عليهم معتقدهم بها فقال في حديث له : لا هامة ولا عدوى ولا صفر٦) اما من كان على دين في الجاهلية ، فلا يعتقد ان البعث حديث خرافة ، بل يؤمن بالله واليوم الآخر . وهذا امية بن أبي الصلت يذكر الجنة والنار

١) س ١٧ آية ٩٦ ٢) س ٢٥ آية ٨ ـ ٩
٣) ص ٥٣٠ ـ ٥٣١ السيرة لابن هشام
٤) ص ٥٢٧ ج ١ محيط المحيط ، بيروت ١٨٧٠ لبطرس البستاني وص ٣٥٧ ج ٧ دائرة المعارف ، بيروت ١٨٧٦ لبطرس البستاني
٥) س ٣٧ آية ١٦ ، ١٧ وانظر س ٣٧ آية ٥١ وس ٥٦ آية ٤٧ ، س ٢٣ آية ٨٤ ٦) ص ١٦٦ ج ٧ صحيح البخاري ، مصر ١٣٤٧

فيقول في قصيدة :

هما فريقان فرقة تدخل الجنة حفت بهم حدائقها
وفرقة منهم قد ادخلت النار فساءتهم مرافقها(١)

عبادة الجن والملائكة

هذا ، ولم يكتف العرب بالدين الفتشي : بعبادتهم مواليد الطبيعة من انسان وحيوان ونبات وجماد ، بل امتد اعتقادهم الى ما فوق الطبيعة فعبدوا الجن والملائكة . وشاهد ذلك ما جاء لابن الكلبي في قوله : « وكانت بنو مليح من خزاعة ـ وهم رهط طلحة الطلحات ـ يعبدون الجن »٢) . وفيهم نزلت الآية : « ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم ، فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين »٣) وقد نزلت آيات كثيرة في الجن وعبادتها ، منها : « بل كانوا يعبدون الجن اكثرهم بهم مؤمنون »٤) «وجعلوا لله شركاء الجن »٥) «ويوم يحشرهم جميعاً يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس »٦) . وفي غيرها مع روايات تفسيرها اخبار لا تخلو من فائدة ، وكذلك ما يذكرون في تفسير الآية : « وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن »٧) .

واما عبادة الملائكة فشاهدها قول قرشي للرسول : «نحن نعبد الملائكة وهي بنات الله»٨) وقال تعالى : « ويوم يحشرهم جميعاً ثم يقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون»٩) . « ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول أأنتم اضللتم عبادي ام هم ضلوا السبيل »١٠) .

ونكتفي بهذه الآيات شواهد على عبادة الملائكة . وسنرجع الى الحديث عن الملائكة والجن فيما بعد . ولقد مررنا بعبادتهم النجوم ، واعتقادهم بها كما اعتقدوا بالجن والملائكة قوى فائقة الطبيعة . وهم في عبادتهم لهذه المخلوقات اما طوعاً لانها تدير ـ على زعمهم ـ حركات الكون وتدبر شؤون العالم ، واما كرهاً لخوفهم من غضبها او من الارواح الشريرة . ومن الجن والعفاريت من يلقي الرعب حتى في نفوس الكثيرين من رجال اليوم !

الظواهر الطبيعية

ولقد تلقي ظواهر الطبيعة الرهبة في النفوس أيضاً فتعبد .

١) ص ٢٢٥ ج ٢ البداية والنهاية ، مصر ١٣٤٨ لابن كثير
٢) ص ٣٤ كتاب الأصنام ٣) س ٧ آية ١٩٣
٤) س ٣٤ آية ٤٠ ٥) س ٦ آية ١٠٠
٦) س ٦ آية ١٢٨ ٧) س ٧٢ آية ٦
٨) ص ١٨٩ السيرة لابن هشام وانظر ص ٢٣٦ ، ٢٣٧
٩) س ٣٤ آية ٣٩ ١٠) س ٢٥ آية ١٨

وبما يروى ان قسماً من العرب قد عبد البرق.وهم ـ كما في السيرة ـ بنو عدي ، انما سموا بارق لانهم تبعوا البرق١). ويمتنع المطر فتقدم انواع الشعائر لاستنزاله . يقول لامنس :«وكذلك القول عن صلاة الاستسقاء وعن الميزة او الكرامة التي اختص بها بعضهم من استنزال المطر زمن الجدب ، وهي ميزة يبررها عادة كون صاحبها يحفظ بيت القبيلة وقبتها ، وللبيت والقبة مركزها الاسمى في هذه الادعية الحافلة »٢).

وقد جاء في البخاري عن عبيد الله سمع ابن عباس يقول : « خلال من خلال الجاهلية الطعن في الانساب، والنياحة،ونسي الثالثة . قال سفيان : ويقولون انها الاستسقاء بالانواء »٣). وترى في الآلوسي شيئاً من عاداتهم في الاستسقاء اذا أجدبت الارض وأمسكت السماء٤).

ومن المفيد هنا ان نشير الى ان منهم من نهى في الاسلام عن اضافة «قوس» الى «قزح».روي عن ابن عباس قال: لا تقولوا قوس قزح فان قزح اسم للشيطان . ولكن قولوا قوس الله٥) ويفهم من ياقوت ان قزح كان اسماً يطلق على جبل قرب المزدلفة٦) بالحجاز.وجاء بالفيروزابادي ان قزح اسم ملك موكل بالسحاب٧) فهل نستبعد ان يكون قزح الهاً من بين آلهة العرب العديدة ؟ وليس غريباً ان يكون اله العواصف، فهو وان لم تزدهر شعائره ـ على رأي « نلدكه » ـ حيث فقد جميع مميزاته على ما يظهر في اواخر العصر الجاهلي،الا انه كان قد عبده الادوميون من قبل٨).

هذا ، ولا يعجب الانسان ان يكون المطر ـ وهو سر حياتهم ـ اله جدير بالعبادة. وعلى ذلك نرى Smith يعتقد بان النيران التي كانت توقدها قريش في المزدلفة٩) انما كانت نيران الاله قزح المقدسة١٠).

النار

وتقودنا نار الاله قزح الى الاشارة بان عبادة النار لم تكن مجهولة لدى بعض اعراب الجزيرة . فقد عبدها اناس فيها وهم على رأي الالوسي ـ أشتات من العرب ، وربما سرى اليهم ذلك من الفرس والمجوس١). ويقول ابن قتيبة ان المجوسية كانت في تميم ، ويذكر اسماء بعض من كانوا يدينون بها٢) . وفي كتاب الحيوان للجاحظ تفصيلات ومعلومات عن النار ، وكذلك في نهاية الارب للنويري حديث عام في النار واسمائها وعبادها وبيوتها مما لا حاجة لنا به ، الا ما جاء على ذكر نيران العرب العديدة. ولا نشير هنا الا الى ثلاث منها وهي : نار الاستسقاء، ونار التحالف ونار الحرتين .

كانوا يشعلون مواد نباتية سريعة الاحتراق ، يعلقونها باذناب البقر بعد ان يصعدوا بها الى جبل وعر . وكان هذا

١) ص ٦٧ السيرة لابن هشام ٢) مجلة المشرق م ٣٧ ع٢ ص٢٣٨
٣) ص ٢٢١ ج ٤ صحيح البخاري ٤) ص ٢٠١ ج ٢ الآلوسي
٥) ص ٨٦ ج ٤ معجم البلدان، ليبزك ١٨٦٦ لياقوت وص ٩٠ ج١ نهاية الأرب في فنون الأدب : دار الكتب ١٩٢٩ للنويري
٦) ص ٥٢٠ ج ٤ معجم البلدان
٧) ص ٢٦٤ ج ١ القاموس ، مصر ١٣٨١ للفيروزابادي
٨) ص ٦٦١ ج١ Enc. of Religion
٩) يراجع ص ٨٥ ج٤ معجم البلدان وص ٦٦٩ ج١ Enc. of Rel.
١٠) ص٣٤٢ Religion of the Semites

١) ص ٢٣٣ ج ٢ الآلوسي ٢) ص ٢٩٩ كتاب المعارف جوتنجن ١٨٥٠ : لابن قتيبة . « وقد قال العلماء ان المجوسية كان يدين بها بعض العرب في البحرين » ص ٤٣٨ ج ١ الكامل في التاريخ . مطبعة بريل ، ليدن ١٨٦٦ : لابن الأثير

العمل ، في زعمهم ، سبباً من اسباب نزول الغيث . هذه هي نار الاستسقاء التي كانت تصطحب بضجيج من الادعية والتضرع .

واما الثانية ، فهي نار التحالف ، فكانوا لا يعقدون حلفهم الا عليها . يطرحون فيها الكبريت والملح . ومما جاء في « أديان العرب في الجاهلية » قال ابو عبيدة : « كانوا في الجاهلية الاولى اذا تحالفوا وتعاهدوا ، اوقدوا ناراً ودنوا منها حتى تكاد تحرقهم . وعدذوا بمنافع النار ودعوا على ناقص تلك اليمين ، والناكث لذلك العهد، بحرمان تلك المنافع ، ويتصالحون عندها ، ويقولون : ، الدم الدم والهدم الهدم ، والمعنى دماؤنا دماؤكم وهدمنا هدمكم ، والهدم اسم البناء المهدوم ، اي مما هدم لكم من بناء او شان فقد هدم لنا ، وما اريق لكم من دم فقد اريق ، يلزمنا من نصرتكم ما يلزمنا من نصرة انفسنا . وعبروا على استعمال ذلك يتوارثونه ، الى ان اتى الله تعالى بالاسلام ، وكان الحلف بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين الانصار ، فقال صلوات الله وسلامه عليه لهم : ، الدم الدم والهدم الهدم .

وربما دنوا من النار حتى تكاد تمحشهم ، او تكاد تحرقهم . ويهولون بها على من يستخف بحقوقها ، ويتوعدونه بحرمان منافعها ومرافقها ، وفي ذلك نكد العيش وحرمان الحياة .

ويسمون الرجل القيم بامر تلك النار « المهول » وقد ذكرته الشعراء ، قال الكميت :

كهولة ما اوقد المحلفون لدي الحالفين وما هولوا

وقال اوس بن حجر ، وذكر عيرا قائماً فوق نشز :

اذا استقبلته الشمس صد بوجهه كما صد عن نار المهول حالف

وكان من شأنهم اذا تحالفوا ان يغمسوا ايديهم بالدم » [1].

غير ان نار الحرتين التي اطفأها خالد بن سنان [2] كانت على ما يظهر احفل نيران العرب كلها بالخرافات . وهي في بلاد عبس . زعموا انه كان يخرج منها عنق فسيح مسافة ثلاثة او اربعة اميال ، لا تمر بشيء الا احرقته .. الى ان كان من أمر خالد بن سنان ما كان حيث اخذ من كل بطن من بني عبس رجلا وخرج بهم نحوها ، وقد خرج منها عنق كأنه عنق بعير ، واحاط بهم فقالوا : هلكت والله اشياخ بني عبس آخر الدهر . فقال خالد كلا ! وجعل يضرب ذلك العنق ويقول : « بدأ بدأ ، كل هدي الله يؤدى ! انا عبدالله خالد بن سنان » فما زال يضربه حتى

1) ص ٢٩ ـ ٣١ ايمان العرب في الجاهلية
2) ص ٢٧٠ ج ١ الكامل في التاريخ

رجع وهو يتبعه والقوم معه كأنه ثعبان يتملك حجارة الحرة حتى انتهى الى قليب ، فانساب فيه فدخل عليه خالد ، فقال ابن عم له : لا ارى خالداً يخرج اليكم أبداً ... فخرج خالد ينطف عرقاً !! وفي هذه النار يقول الشاعر :

كنار الحرتين لها زفير تصم مسامع الرجل السميع [1]

ولا عجب بهذه الخرافة عندهم ، فقد زعم بعض البربر النازلين بمصر ان خالد بن سنان هذا كان نبياً ، وكانوا ينزلون بالفسطاط بمصر على كعب بن يسار بن ضبة العبسي ، ويعظمونه زاعمين ان اباه هو خالد ابن سنان المذكور الذي بعث اليهم [2] . ومما يروى عن خالد هذا انه قال لما حضرته الوفاة : اذا دفنتموني فاحضروا بعد ثلاث فانكم ترون بعيراً أبتر يطوف بقبري ، فاذا رأيتم ذلك فانبشوني ، اخبركم بما هو كائن الى يوم القيامة . ويزعمون ان بنته لما قدمت على النبي سمعت : « قل هو الله أحد » فقالت : كان ابي يتلو هذه السورة ! واكثر من ذلك ما رووا ان النبي قال عنها : هذه بنت نبي ضيعه قومه ، وبسط لها رداءه [3] .

« وكانت في اليمن فيما يزعم اهل اليمن نار تحكم بينهم فيما يختلفون فيه ، تأكل الظالم ، ولا تضر المظلوم [4] ... فهل بعد هذا شك في مكانة النيران وتقديسها بين العرب في الجاهلية ؟

وحديث النار يدعونا الى الاشارة الى المحرق . وهو على رأي ياقوت صنم كان بسلمان لبكر بن وائل وساير ربيعة . وكانوا قد جعلوا في كل حي من ربيعة له ولداً [5] . وهذه الرواية هي التي دفعت « ولهوزن » الى الاعتقاد بأن ضحايا بشرية كانت تقدم للنيران في الجزيرة . وقد شك « نلدكه » في ذلك [6] . والعرب سمت باسم هذا الصنم ، وكان عمرو بن هند يدعى محرقاً . يقول الضبي لانه أحرق اليمامة [7] . ولا غرابة في تسمية ابن هند بالمحرق ، فقد روى ابو الفرج انه أقسم على أثر حادثة ليحرقن مائة رجل من بني حنظلة ، فامر بحفر اخدود وأضرم فيه النار ورمى بها اولئك المساكين [8] .

محمود الحوت

1) ص ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٩ ، ١١٠ ج ١ النويري وراجع ص ٦ ج ٣ الحيوان ـ مصر ١٩٠٦ : للجاحظ
2) ص ١٩٣ ج ٣ معجم البلدان
3) ص ٢٧٨ ج ٢ محاضرات الادباء ، مصر ١٤٢٦ : للراغب الأصبهاني
4) ص ١٧ السيرة لابن هشام 5) ص ٤٢٥ ج ٤ معجم البلدان
6) ص ٣٦٤ R. Smith. Religion of the Semites
7) ص ٦٨ امثال العرب للضبي 8) ص ١٢٩ ج ١٩ الأغاني

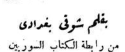
الظـلال الهـائمـة

✩

ما زلت أسمعها تغني رغم آماد الزمان
فرحي المجنح والكآبة في غدير عيونها يتألقان
وهواي كان
طفلا إلهياً على الاشواك يحبو في الهجير
صوب الغدير
حيث الحقول الشاحبات ، وحيث لا قدم تسير
أنا والهجير
صوب الغدير
أترى الظلال الهائمات وراءه وعت الغناء ؟؟
فاسترسلت في شبه حلم ، واستفاقت للمساء
تروي أحاديث الصبيات اللواتي كن يصطدن الرجال
بغنائهن وراء أسوار الليال !
أم لا تزال ؟
مثلي تسير
هي والهجير
لتموت في صمت الحقول ، بلا غدير

بغداد عبد الوهاب البياتي

العودة الى البيت



بقلم شوقي بغدادي
من رابطة الكتاب السوريين



في السوق المزدحمة كانت تحس انها تعود إنساناً كهؤلاء الذين يتدافعون حولها . لا رجل يأبه لها الا كما يأبه لاية امرأة عابرة . هناك كانت تضيع في التيار ، وتملأ وجنتيها دماء سعيدة لانها مجهولة وواحدة كالاخريات . ولكن ، ماذا لو التقت به الان في الطريق . ترى ايعرفها بعد تلك السنين ؟. انها لتذكر أنه كان في حدود التاسعة من عمره ، ولا بد انه الان صار رجلا ، فقد مر على ذلك اليوم ثمانية اعوام . وهي ترى لو مر بها فهل تستطيع تمييزه من بين عشرات الرجال العابرين . كان وجهه مستديراً ابيض تبرق فيه عينان عميقتان . ولكن اي لون كان لهذين العينين ؟. وانفه .. وفمه .. انها لتستحضر هذه التقاطيع في ذهنها كمن يتطلع الى صورة قديمة باهتة الالوان لا يرى منها غير طيف وجه لطفل كان يعرفه منذ سنين . لا بد انه تغير كثيراً . ولكنها تذكر جيداً انه كان هادئاً كالبحيرة العميقة لا يعبأ كثيراً بألهيات اترابه ، فاذا جاراهم فلا بد ان يكون له مكان الصدارة .

ـ أحتاج لزجاجة عطر ثمينة ..

كان المحل الذي ولجته فسيحاً ، فلا بد انه خير مكان تجد فيه العطر الذي تريد . واحست ان البائع الذي خف لقدومها يبتسم لها ابتسامة ذات معنى خاص .

ـ من هو السعيد الذي سوف تتعطرين له يا آنسة مونا ؟.

هذا واحد منهم .. من المئات ، من الالوف ، التي لا تحفظ لها شكلا ولا وجهاً . وردت على الابتسامة بنظرة متجهمة ، حتى هنا ايها السخيف . قبل ثوان كنت ناسية كل شيء ، فلماذا جئت تذكرني !

ـ هات ما عندك . ـ حاضر ..

بهذه اللغة وحدها يفهم امثال هـذا . وخرجت تحتضن زجاجتها ناقمة . في الخارج ، كانت عيون اخرى تبرق لمرآهـا بريقاً خاصاً . لقد عرفوها ، فتود لو انها اسدلت على وجههـا نقاباً اسود كعشرات العابرات ، وكما كانت تصنع هي قبل ثمانية اعوام . ان احداً ما كان ليلحظها . لا بأس . سوف تجتاز هذه العيون الوقحة عما قليل وسوف تضيع في التيار مرة اخرى . لا بد ان تشتري اشياءها الاخرى كي تكتمل لها الزينة . سوف يأتي الليلة حتماً . وسوف تكون في استقباله بكل زينتهـا كالعروس في ليلة الزفاف . البارحة عندما قالوا لها ان فتى طويلا مستدير الوجه ، ابيضه ، تظهر عليه علائم الخجل والقلق سأل عنها بالحاح ، حدست انه هو . وعندما اخبروه انها غائبة هذه الليلة ظهر عليه عدم التصديق ، فجلس في الصالة ينتظرها حتى ساعة متاخرة من الليل ، ثم اختفى فجأة . لا بد انه هو ، فقد لاحظ الجميع انه يشبهها الى حد ما . لقد جاء اخيراً كي ينقذها ويريحها . إنها لتنتظره طوال هذه السنين السوداء كالسجين الذي يترقب موعد الافراج عنه ، وكانت تثق تماماً انه قادم يوماً مـا مهما طال عليها العهد ومهما استعارت من اسماء وغيرت من مدن.

في مثل هذه السوق المزدحمة في مدينتهـا ، وقبل سنوات عرفت عنه هذا التصميم . كانت تسير في اصيل ذلك اليوم وحيدة كعادتها ، وكان لم يمر على انفصالها اكثر من عام وبضعة شهور في تلك الايام كانت ولا تزال غير آبهة ، قد جرفتها حياتهـا الجديدة فاستساغتها ولم تكن تفكر باكثر من يومهـا . كانت ناقمة على الدنيا كلها ، فالجميع اعداؤها . وكلهم يكذبونها الحقيقة فلماذا تأسى عليهم ؟... ولكن ، بغتة ، وفي اصيل ذلك اليوم قفز ماضيها القريب امامها على ارض الشارع في طفلة ذات «مريول» اسود ارادت ان تتجاهلها ولكنها لم تدر لماذا صرخت بلا وعي تناديها : ـ خديجة .. خديجة .. واستدارت خديجة .

ها ! مرت على الحادثة سبع سنوات وما تزال تلك النظرة ساعة استدارت خديجة على ندائها محفورة في رأسها صارخة أبداً بالرعب ، والمباغتة ، والحنان .

كانت خديجة صغراهن ، لم تتجاوز بعد الثامنة ، وما كادت تستدير على النداء حتى تسمرت في مكانها كالمأخوذة . وتحركت فجأة كأنها تريد الهروب ولكنها سرعان ما استسلمت فوراً للذراعين اللتين التفتا حولها ، ولليد التي قادتها ..

ـ خديجة .. حبيبتي خديجة .. كيف أنت يا حبيبتي .. كيف امك .. كيف أخواتك .. حدثيني .. ما أحلى هـذا المريول يا خديجة ! ألا تزالين متفوقة في مدرستك ؟ !

لم تتحدث خديجة ، إنها خائفة . لا بد انهم علموها على كراهيتها اذا لم يقولوا لها إنها ماتت . ولكنها لن تستطيع كراهيتها ، ها هي بين يديها كالنعجة مستسلمة وادعة ..

ـ ماذا يتحدثون عني هناك يا خديجة ؟ لا .. لا تقولي شيئاً ..

تعالي الى هنا ، تعالي .. ألا ترين هذه الصور الجميلة في هذه الواجهة.. تعالي ندخل هذا الدكان..سنأخذ معاً صورة تذكارية.

ودخلنا معاً في أصيل ذلك اليوم الى المصور وجلسنا معاً امام عدسة آلة التصوير ..

ـ اريدها صورة جميلة كاحسن ما يستطيعه فنك. التصقي بي يا خديجة . أسندي رأسك الى صدري كي احتضنك بذراعي الايمن . عظيم . نحن مستعدتان يا سيدي ..

وإنها لتذكر شيئاً لا ينسى ساعة التفت إليهما المصور وقد صوب نحوها مصابيحه الساطعة ثم قال : ـ والآن .. ابتسما قليلا ..

فجاهدت كي تغتصب ابتسامة صحيحة وهمست في اذن خديجة ان تبتسم ايضاً، ولكن المصور وضع يديه في خاصرتيه ثم قال محتجاً:

ـ هذه ليست ابتسامة.. هذه تكشيرة .. اريد ابتسامة حقيقية.

كانت تريد صادقة أن تجد هذه الابتسامة الحقيقية التي يريدها المصور. إنها لتحب ان تكون الصورة باسمة ، ولكنها لا تستطيع فما اقسى هذا الرجل الذي أرادها ان تبتسم في تلك اللحظة وهو ما يزال يرفض محاولاتها الفاشلة :

ـ آه ، كيف أصنع بكما ، شيء من الابتسام الصحيح وتطلع صورة لا مثيل لها ..

كان شعر خديجة الاسود مكوماً تحت انفها تماماً مالئاً اياه برائحة بيتية. وكان جسدها الصغير اللدن مسترخياً على صدرها، وتحت ذراعها الايمن كقطة أليفة. وكانت الاشعة القوية تملأ عينيها وشبح المصور من ورائها كانه رجل اسطوري يطالبها بالحاح أن تبتسم . وأحست بغتة ان دمعتين ساخنتين تملأان مقلتيها ثم تنحدران بهدوء بحذاء انفها ، ورأت المصور من خلال دموعها يقف صامتاً مشدوهاً وهو يتطلع اليها غير مصدق. وما كادت تراه في وقفته البلهاء هذه حتى غمرت وجهها في غدائر خديجة ، وضمتها بقوة بين ذراعيها وهي تشهق باكية وجسدها ينتفض كانما تمتلكها نوبة من البرداء .

وبعد كل هذه السنين ما يزال اريج شعر خديجة الاسود يفعم روحها بعاطفة حنان ما ذكرتها مرة إلا اغرورقت عيناها بالدموع وكادت تبكي .

كانت الصورة لا تفارق محفظتها ، فاخرجتها وهي تخوض الزحام واختلست منها نظرة سريعة ثم أعادتها الى الحقيبة . لقد شده المصور الارمني في ذلك اليوم فلا بد انها المرة الاولى التي يرى فيها احداً يبكي امام عدسة التصوير ، ولكن الشيء الذي شده له اكثر ولا بد فهو تلك الابتسامة المشرقة التي غمرت وجهي الفتاتين بعد أن مسحتا دموعهما واستقبلتا الاضواء من جديد .

امام الباب ، وقفت الفتاتان برهة على الرصيف تتاملان المارة والسيارات العابرة بعيون غائمة قلقة لا تتبين شيئاً من حركة الشارع . كانت تريد ان تقول لها شيئاً قبل ان تتركها لتعود الى البيت :

ـ هل تريدين ان اشتري لك شيئاً يا خديجة..لا..سآخذ لك شيئاً ما..هل يتحدثون عني في البيت يا خديجة، تكلمي، لا تخجلي.

وبدأت خديجة كلامها مترددة ثم انطلقت : ـ كلنا نذكرك يا منيرة .. امك تقول إنك مت ولكن مصطفى يعرف انك لم تموتي وهو يقول دائماً انه متى صار رجلا فسوف يلحق بك اين كنت كي يقتلك ..

مصطفى ؟. هذا الصغير الحبيب .. سيقتلها ! . ولم تتمالك ان يشحب وجهها قليلا وهي تبتسم لاختها . وتذكرت أيام كانت تحمله وتدور به في دهليز البيت حتى يصرخ باكياً ، ثم تقبله شراهة مجنونة . لقد كان الرجل الوحيد في البيت بعد موت الاب.

ـ لا تصدقي يا خديجة ما يقال عني . ساعود ذات يوم الى البيت كما كنا نعيش قديماً . والان تعالي اشتر لك هذه المحفظة الجلدية الجميلة كي تجمعي بها كتبك .

شعرت انها اوغلت في السوق فاكتفت بما اشترت ثم استدارت عائدة وهي تحاول ان تتذكر اي شيء ينقصها .آه.. الزهور .. لا بأس .. هناك محل لبيع الزهور يقع في طريق عودتها . ستمر به وستحمل باقة ملونة تملأ بها غرفتها هذه الليلة وتعطر البيت كله .

هناك استقبلتها رفيقاتها مشدوهات ، ولم تنج من عبثهن الماجن حتى واراها باب غرفتها . وما كاد اول مصباح ملون يضيء في الحارة حتى كانت جاهزة . الفستان الابيض الهفهاف ، وعقصة الشعر الشبيهة بالتاج ، والمزهريتان المليئتان ، واحدة تتوسط الغرفة على مائدة منخفضة ، واخرى قريبة من الشباك الذي فتح مصراعاه واسدلت فوقه ستارة ناعمة الثقوب والوشي. لن تكون ليلة عادية هذه الليلة التي تلاحقها منذ سنين .

ـ لمن كل هذا يا مونا ؟!

سالتها « الام » وهي تمضغ لبانة وتحاول ان تكون لطيفة. ولكن منيرة لم تجد رغبة في ان تبادلها الحديث ، فلم تلتفت البتة كانها نسيت اسمها الحاضر . ترى من يأبه لهذا القادم . ولماذا تشرك هذه العجوز ذات الوجه اللصوصي سرها . الليلة فقط تحس انها متفوقة عليهن جميعاً. ثمانية اعوام في هذه القاذورة مرت

مميتة كليالي العذاب . في خزانتها الآن ثروة من الحلي . في معصمها فقط الف ليرة . ولكن يوم تشيخ ، ولا تجد أحداً يرغبها ماذا ستصنع ؟ .

في أعوامها الاولى ندر أن فكرت بالمستقبل . كانت تؤمن ايماناً مبهماً راسخاً انها ستنجو ذات يوم من كل ما يعلق بها بطريقة ما . وكانت تسعى للتوفير بغريزة التقليد وحدها ، فقد كان كل من حولها يجمع ضمانة العيش ليوم تنفض فيه البيوت بضاعتها الكاسدة بغير شفقة

ظلت سنوات تذكر وعدها لاختها الصغرى أنها ستعود الى البيت ، كحقيقة سوف تقع باعجوبة ذات يوم . ولكن المعجزة لم تقع ، وظل البيت يتباعد ، حتى غاب ، إلا من اشباح مهددة ، والطياف وادعة حبيبة . ولكن حبها لها لم يتناقص ، يوماً .

حتى الاشباح المهددة لم تستطع ان تكرهها ، فقد كانت تشكل في ذهنها قانوناً عادلا للحياة تنتظر تنفيذه بارتياح وبشيء من الفخر . اما الموت ، اما ان تغمض عينيها ولا تستيقظ بعدها ، فقد كان هذا شيئاً مرعباً لا يفهم ، شيئاً مخيفاً ، لانه كان حلا وحيداً قاومته في سنيها الاولى بكثير من الامل . ولكن في ذات ليلة ارتعد البيت كله لصراخ وحشي يطعن القلوب من وراء باب غرفة موصدة لاحدى الزميلات . وعندما دخلوا عليها ، وجدوا شاباً شاحباً ، واقفاً في ثيابه الكاملة في وسط الغرفة وعند اقدامه سكين دامية ، وعلى الفراش جثة الفتاة عارية ، قد مزقتها عشرات الطعنات .

في الصباح كانت الميتة شهيدة الحي ، تحيط بها هالة من البراءة والاكبار . لقد تطهرت الآن من كل اقذارها ، وعادت الى أبويها واخواتها طفلة طاهرة صغيرة ، ولكن مع فارق واحد ، هو انها كانت طفلة ميتة .

منذ ذلك الصباح بدأت تستعد لهذه العودة . لقد وعدت اختها ذات يوم ان تعود للبيت كما كانت تعيش قديماً . ولكنها عرفت اخيراً انها لن تستطيع الوفاء الا اذا تطهرت كتلك البنت الزميلة التي عراها اخوها الشاب ذات ليلة ثم مزق جسدها .

بدأت الردهة تمتلىء بالوافدين ، فهربت الى غرفتها . وعندما دقوا عليها الباب قالت إنها لن تستقبل اليوم أحداً ولكن هذا لم يمنعها ان تشق الباب بعد قليل كي تراقب الرجال الذين بدأت تزدحم بهم الردهة .

إنها اليوم له . لن تهب نفسها لاحد غيره هذا الصغير الحبيب الذي صار الان رجلا يلاحقها كالرجال الشرفاء الذي يتحدرون من اسرة شريفة . وحدها هي اللطخة ولن تنجو الاسرة الا برحيلها . ولكن متى يأتي هذا الزائر ؟ . كان يجلس قبالة بابها المفتوح رجل انيق يبتسم لها متظرفاً ، ثم نهض مقترباً من الباب ووقف على العتبة يغازلها ، فاعتذرت بهدوء وبشيء من السأم . ولم يلح هو ، بل التفت الى غيرها من الجالسات في الردهة . يتصيدن الرجال بالابتسامة الباكية واللحم المكشوف .

لماذا تأخر ؟ لعله جبن ولن يأتي ؟ . واحست بشيء من الخزي والخيبة . لقد رضيت اسرتها بالامر الواقع ونامت على المهانة . ومصطفى لا يزال صغيراً لا يقوى على حمل سلاح . ونهضت الى الباب تقف على عتبته كي تراقب الردهة .

كان هناك سبعة رجال . ثلاثة فتيان ، وثلاثة رجال ، وشيخ متهدم واحد . ترى أيهم هو ؟ . ليس احد منهم قريباً الى الصورة التي تحفظها له . انها ستعرفه حتماً بمجرد ان يدخل . وفجأة ، عرفته على الفور .

كان واقفاً في فم باب المدخل ، يكاد يسده بقامته الشامخة . وصرخ قلبها : مصطفى ! . انه هو .. يا الله .. ما اشد ما نما في خلال تلك السنين .. ولكن وجهه لم يتغير .. لقد قسا قليلا ، ولكن العيون العميقة هي هي ، والانف الدقيق ، والفم العريض الصارم ، والجبهة الفسيحة .. كل هذه التقاطيع ما تزال هي .

لم يكن مصطفى بحاجة الى ان يسأل عنها في هذه الليلة ايضاً ، فقد رآها امامه بمجرد ان وضع قدمه على عتبة باب المدخل فتغير لون وجهه . لقد عرفها على الفور ، وخطا خطوتين الى الامام فصار امامها مباشرة .

كانت منيرة واقفة تنظر اليه جامدة مقرورة . هذا العملاق المقترب هو مصطفى الذي كانت تحمله بين يديها وتقبله بشراهة اكان ذلك منذ سنوات سحيقة في القدم .. هل التقت بها في السوق المزدحمة اليوم .. ام منذ سبع سنوات عندما اخبرتها ان مصطفى ينتظر ان يصبح رجلا كي يأتيها اينما كانت ؟ . اكان كل ذلك حقيقة لا مفر منها ؟! . ايها الصغير الحبيب .. في اي جيب تحمل أداتك القاتلة ؟ . ادخل .. ادخل .. فانني انتظرك منذ ثماني سنوات كي ترجعني الى البيت .

ومر امام صدرها وهو يدخل فاحست قلبها يغوص ، وكادت تصرخ مذعورة ، ولكنها التفتت بهدوء الى العجوز الام ذات الوجه اللصوصي التي وقفت على الباب مستغربة :

ـ لا يزعجني احد .. فانا مرافقة هذه الليلة .. واضافت وهي تسترد ابتسامتها الهاربة . ـ سارافقه الى البيت .

واغلقت الباب في وجه العجوز ثم استدارت نحو أخيها .

دمشق — **شوقي بغدادي**

في متاهات الحياة

بقلم رضوان ابراهيم

☆

كانوا حيارى .. تاقت ارواحهم الى الهداية .

فخدعتهم الحياة بباطـل من بريقها وكذابها . وزورت عليهم سراباً يهيج الظمأ ، ولا يسفر عن ري !!

وراحوا يضربون في صحرائها،يدمي اقدامهم حصاها، ويلهب رءوسهم زفيرها ويضرم حلوقهم ظمأها ..

حتى مات الضياء، واختفى السراب، ولفهم الظلام في رداء الهلاك !!

كانوا اسارى.. احبوا الحياة.

يا طالما أخلصوا لها الحب ، ويا طالما غررت بهم .. ظلت تشدهم اليها بوثاق من ناعم الحرير .. وظلوا يطاوعون منجذبين الى حيث لا يعلمون ..

حتى إذا أحسوا قسوة الاصفاد تدمي معاصمهم ، ولهيب الحرمان يئز في قلوبهم استداروا لهربوا، ولكن،أين المهرب؟ واني للاسارى سبيل الفرار ؟!!

وكان حبهم للحياة هو الخطيئة التي لم تغفرها لهم السماء،ولم تجزهم عليها الارض، ولكنها سحقت قلوبهم،و بعثرتها مع الرياح!

كانوا عطاشاً..ظمئت ارواحهم الى انداء الصباح تنفح قلوبهم الغضة بعطرها وريها..وتفتحت عيونهم المسهدة ترنو الى السماء ، تبتهل وتستسقي ..

وحبسوا انفاسهم لا تتردد ، ولفوها في برد الصمت،وكفنوها في ادراج السكون ووقفوا خاشعين يرتقبون قطرات الطل المحيي ، ونفحات الندى الرطيب .

لكن الصباح طلع عليهم من فجاج الصحراء الثائرة ، عاصفاً يسوق الرياح السوافي، ويغيم بالرهج المقذي،ويعصف بالمدر الحاصب ! !

وحين هدأت ثورة الصحراء المقرورة ووضعت حرب العواصف اوزارها ، وتطامنت حدة الارض لحكم السماء ، وبسمت الطبيعة بسمات الصلح والسلام..

.. تلفتت اليهم النسمات الندية ، تمسح عنهم اقذاء الثورة ، وترطب حلوقهم بقطرها الحلو، وتنعش ارواحهم بشذاها الرطيب.

فاذا هم نفايات متناثرة،وحطب يابس، لا يهش للندى ، ولا يتفتح للانسام ؛ ولا يرقص للنور ..

يا حسرتا!! لقد لفهم الاعصار الثائر في دواماته السريعة العاتية المفاجئة،فامتص من اوراقهم الناضرة عصارة الحياة ، وتركهم هشيماً تذروه الرياح ! !

كانوا فراشاً، عشقوا الضياء،وتهافتوا على ألوانه اللامعة..

حوّموا حول اللهيب ، إذ أنسوا في جماله الزاهي متعة لعيونهم الغريرة ..

واطوّفوا بهيكل الجمال ، يهيم بهم الشوق الضارع ، ويدفعهم الحب الظامىء الى منابع النور ..

وتألقوا في معبد النار ، رهباناً هاتفين بالجلال، مأخوذين بالروعة، سابحين في الهالة راكعين ضارعين امام اقداسه العلى ..

حسبوا اطراف اللهيب المتراقصة شفاهاً وردية ؛ تمتد اليهم بقبلاتها العذبة الحنون، واحضاناً تتفتح لتلقاهم حانية مواسية ، مستجيبة لما بين حناياهم من شوق ولهفة ، فهاموا ، واندفعوا ، وتراموا على ألسنة اللهب الحبيبة .. لكن اللهب القاسي لم يرحم ضراعتهم ، ولم يبارك عبادتهم ، ولم يحن على عشقهم .

بل الطاح بهم اجنحة سوداء محترقة، تتهافت على اقدام المجامر ، وتتساقط على حافات المواقد.. وتبدد في سمع الزمن هتافهم وضراعتهم ، وخفتت صلواتهم حتى استحالت أنيناً مرتعشاً ، ثم تلاشى في قبضة الصمت الرهيبة القاسية .

يا ويلنا!!لقد احرقوا قلوبهم بخوراً على أعتاب الهيكل، ولكن النار المقدسة ضنت عليهم بالقبس المطهر والشعاع الهادي!!

كانوا ضالين .. تطلعـوا الى نور الفجر الوليد يهديهم ويواسيهم ..

بعـد إذ برح بهم الظلام المرعب ، وحطمهم اليأس المرير ، وزلزل قلوبهم الخوف الداهم ..

ترقبوا طلائع النور تفك إسارهم ، وتطلقهم في مواكب الحياة بلابل تلتقط الحب ، وتغني للزهر ، وتسبح للسماء ، وتهتف للضياء، والحرية والامل ..

لكن دنياهم كانت اقسى يداً ، فاستلت من ابصارهم اول خيوط النور المرتقب ، واماتت في ارواحهم اصداء الاماني الحلوة الهادية ..

ولما مات الضياء في قلوبهم،وصرعت الآمال في نفوسهم ، اطلقتهم يترنمون في كل خطوة ، ويتخبطون مع كل خطرة.

فيا للقسوة العاتية !! يا لقسوتها يداً اراقت شرابهم ، وحطمت كؤوسهم ، وفضت سامرهم ، وبددت آمالهم، والقت بهم بين مخالب الحرمان يمزق احلامهم ، ويعتصر قلوبهم،ويلقيهم على أسنة الصخور بدداً ، لا يدرون اين هم من الحياة واين هي منهم !!

لقد ماتت اغاني الامل واناشيد الشباب من حناجرهم ، وصرعت الانغام

تطور الرسم عند الطفل

بقلم سمير التنداوى

ليسانسيه بالفلسفة من جامعة فؤاد الاول

تحدثنا في مقال سابق عن صلة الالوان بالتحليل وذكرنا ان بعض المحللين قد استعانوا بها لتبيان حالة الطفل ومدى تطوره والآن سنتكلم عن تطور الرسم بالقلم عند الطفل

يبدأ الرسم بالقلم من مرحلة تسمى مرحلة « التخطيط » ويقابلها في لغتنا العامية كلة « الشخبطة » ثم تتطور الى مرحلة الخط الاطاري فالصورة الاطارية . وأول ما يبدأ الطفل في استعمال القلم تراه يحرك يده اليمنى ثم اليسرى دون ان يدري ايهما يستعمل . ويمسك القلم تارة من طرفه الصحيح وتارة من الطرف الآخر. ثم يبدأ في عمل خطوط على الورقة دون ان يدرك العلاقة بين حركات يده وبين الاثر الذي يحدثه على الورقة ثم يتبين هذه العلاقة بمرور الزمن ويتزايد ادراكه للعلاقة بين حركاته والخطوط التي يحدثها حتى يدرك اخيراً الرابطة العلية الضمنية بين الحركة والرسم. وتكون عين الطفل عند بدء الرسم ملاصقة للورقة او تبعد عنها بمقدار ١-٣ سم. ولا يحرك الطفل اثناء رسمه يده اليمنى او حتى ذراعه بل يحرك نصفه الاعلى كله .

ويرسم الطفل حتى سن السنتين خطوطاً متجهة من الامام الى الخلف على شكل ذبذبات اما الخطوط المستقيمة والرأسية والمائلة والدوائر والزوايا فتمثل مرحلة اكثر تطوراً. ويحدث ان يرسم الطفل خطوطاً قصيرة عشوائية ، فاذا تكررت هذه الخطوط دل ذلك على ضعف التكامل بين الجهاز العصبي والجهاز العضلي. وقد يكون هذا الضعف نتيجة تأثير البيئة إذ ان حب الابوين وعطفهما يساعد الطفل مساعدة كبيرة على التحكم في افعاله اما اذا شعر الطفل كانه غير مرغوب فيه او احس بشيء من الاهمال فسوف لا يجد باعثاً على النمو والتطور وربما يؤدي به الى الاضطراب

ثم ينمو الجهاز العصبي عند الطفل ، ويزداد تكامله وتآزره مع الجهاز العضلي فتزداد قدرة الطفل على التحكم في يده وهنا تراه يحاول ان يختار من الخطوط التي كان يرسمها خطاً واحداً معبراً عن الشكل الذي يريد ان يرسمه ، وهذا هو الخط الاطاري .

ويتطور الرسم التخطيطي الاول ويتحور فيتخلص الطفل شيئاً فشيئاً من بعض الخطوط الزائدة ويعدل الخطوط الاخرى فتراه مثلا يستعمل الخطوط الطولية للتعبير عن الجسم والخطوط الدائرية للرأس فيميز بذلك الجسم عن الرأس بينما كان اولا يستعمل الخطوط الدائرية مثلا للاثنين. وعندما يصل الطفل الى هذه الدرجة يكون قد دخل مرحلة جديدة غير المرحلة التخطيطية الاولى الا وهي الخط الاطاري .

وقد يتأخر ظهور الخط الاطاري، ويكون ذلك عادة دليل تأخر في التطور فالاطفال المضطربون انفعالياً لا يهتمون بالخط بل يرسمون كتلا ضخمة وقد يدوم هذا الاضطراب طويلا فيعوقهم عن التطور . وبديهي ان التقدم المنشد خلال مراحل الرسم المختلفة ، والانتقال من مرحلة لاخرى انتقالا طبيعياً ، دليل على النمو السوي والتكامل المرغوب فيه .

اذن فالطفل يبدأ بالمرحلة التخطيطية ويظل في محاولاته الاولى حتى يعثر على الخط الاطاري . ويعتبر عثوره على الخط الاطاري مرحلة انتقال بين التخطيط والصورة الاطارية وتسمى فترة الانتقال هذه Preschematic وهي تتميز بالبحث الدائم عن طريقة رسم الاشكال ولا يكون الطفل في هذه الفترة قد اتخذ لنفسه طابعاً ثابتاً او استقر على شكل خاص بكل شيء اذ نرى

الناعمة السعيدة المرحة على مزاهرهم الخرساء، ولم يعد لهم الا مقاطع حزينة مختصرة من نشيد الشقاء النائح :

ما للحيارى يضربون مع الحياة كما تسير؟!!
ركبوا ببيداء الزمان قوافل الامل العثير

يتدافعون الى السراب يقودهم ظمأ مثير
يتراكضون الى الجحيم يغرهم ظل حسير
ما للحيارى يضربون مع الحياة كما تسير؟!!

وما لقلوبهم الظمأى تحوم حول الماء
ولا ترده الا احاجا تغص به الحلوق ؟!!

وما لارواحهم لا تأتلي تنضخ في رماد الزمن، حتى تقذى عيونهم وتتقطع انفاسهم ، وتضيق صدورهم ، ثم لا يظفرون بلمعة ولا شرارة ولا قبس؟!!

القاهرة — رضوان ابراهيم

مجموعة مختلفة وتشكيلة كبيرة للرسومات التي تمثل شيئاً واحداً . ولكن بالتدريج و بنفس الطريقة التي انتخب الطفل بها الخط الاطاري من بين مجموعة التخطيطات تراه ينتخب رسماً معبراً خاصاً لكل شيء ، فبالنسبة للانسان مثلا تراه يستقر على رسم واحد يمثله ولا يتغير هذا الرسم الا اذا حدثت ظروف خاصة ، سنذكرها فيما بعد تجعله يخرج عنه. وهكذا بالنسبة لبقية الاشياء. فكأن الطفل بذلك يخلق اطاراً خاصاً بكل شيء لذلك سميت هذه المرحلة بمرحلة الصورة الاطارية . وعندما يصل الطفل الى هذه المرحلة يكون رسمه معبراً عن خبرته بالاشكال .

***

ويمكننا ان نقرر ان الصورة الاطارية لا تعتمد الاعتماد الكلي على الناحية البصرية ، فالطفل عندما يرسم صورة اطارية للانسان لا يرسم الانسان كما يشاهده ويراه بل تخضع الصورة للاحساسات الذاتية وللشعور الخاص ولقد قام Lowen fals بتجاربه على العميان فرآهم يرسمون صوراً إطارية للاشياء مقاربة لتلك التي يرسمها المبصرون . ويرى الطفل العالم بشكل يخالف عما يراه الكبار فهو عندما يرسم يقدم لنا اشكالا ورسومات أحسها واختبرها فتبلورت لديه واصبح لها في مشاعره دلالة عامة. وهذه الاشياء هي الصورة الاطارية وقد تكون الصورة الاطارية قريبة الشبه بالشيء الذي تمثله وقد لا تكون كذلك . وتعبر الصورة الاطارية عن ذات الطفل وحالاته الوجدانية فقد وجد ان الطفل المصاب بعاهة تختلف صورته الاطارية للانسان عن الطفل السليم اذ يتدخل في رسم الاول احساسه بعاهته . ولا تقتصر الصورة الاطارية على التعبير عن الاحساسات الجسمية بل تتأثر أيضاً بالميزات النفسية فهي تعبر في كثير من الحالات عن البناء السيكولوجي للطفل. وقد استطاعت La Berta Hattwick بدراستها للصورة الاطارية ان تصنف لنا الاطفال وتقسمهم مجموعات .

فالطفل الذي تقارب صورته الاطارية النماذج الاصليه لها ، يمكن وصفه بانه واقعي ويكون اتجاهه السليم هو الذهاب الى المدارس العلمية . والطفل الذي يتبع طريقة اطارية خاصة به يميل لاظهار شعوره نحو الشيء اكثر من ميله لرسم هذا الشيء وتمثيله . ويمكن وصفه بالخيالية او الرمزية . اما الطفل الذي يكرر شكلا بعينه ويعتمد على اللون والحجم اكثر من اعتماده على الشكل والصورة فيكون الطفل طفلا انفعالياً . واذا رسم الطفل رسماً مجرداً تكوينياً واستمر في هذا النوع من الرسم وتمادى فيه فهو يميل الى الاشياء اكثر من الاشخاص ويصلح للميكانيكا والبناء .

ويميل الاطفال فيما بين ٥ ـ ٦ سنوات الى اظهار الناحية الفردية والتعبير عن المشاعر الخاصة ويتضح ذلك عند رسمهم صوراً بشرية. ثم تقل قيمة الذات في رسومات الاطفال بعد ذلك فيما بين ٦ ـ ١٠ سنوات بينما يتزايد اهتمامه بالبيئة المحيطة . وفيما بين ٩ ـ ١٠ سنوات تتزعزع ثقة الطفل في قوته الابداعية . اذ يرى اختلافاً كبيراً بين رسوماته وواقع الشيء . ثم يتضخم تاثير البيئة ويبلغ اوجه عند سن ١٣ سنة فاذا رسم الطفل فعلا صورة شجرة وانسان نجد صورة الشجرة تطغى على صورة الانسان ثم يعود الطفل بعد ذلك ثانية الى الناحية الفردية الذاتية فتراه في فترة المراهقة تتركز حياته الانفعالية حول ذاته .

قلنا ان الصورة الاطارية التي يرسمها الطفل للشيء تعبر عن مدى احساسه لهذا الشيء . وهي تتغير تبعاً لذلك كلما نما الطفل واجتاز مرحلة من مراحل تطوره كما انها ايضاً تتاثر بحالته النفسية وما يقويه من مشاعر تجاه الصورة التي يرسمها. وتختلف قوة التجديد الشعوري الذي تخضع له الصورة الاطارية من وقت لآخر . وبملاحظتنا للصورة الاطارية للانسان امكننا ان تدرك ذلك . فمثلا يتطور رسم الوجه من الوضع الامامي الذي تظهر فيه العينان كنقط والانف خط رأسي والفم خط افقي الى رسم جانبي ولكن لا يغيب عن البال ان هذا الانتقال تدريجي بمعنى ان يمر الطفل بفترة انتقال فتراه يرسم رسماً يختلط فيه الوضعان الامامي والجانبي .

وفي هذه الاثناء يتطور رسم العين من نقطة الى نقطة فوقها نصف دائرة تمثل الحاجب ثم تصبح دائرة بداخلها نقطة تمثل انسان العين ثم تتضح صورة انسان العين تدريجياً حتى تظهر على شكل دائرة صغيرة. اما رسم الانف فيتطور من خط رأسي ونقطتين ترمزان لفتحة الانف الى شكل قائم الزوايا وخطين رأسيين او الى زاوية متجهة الى اليمين او الى اليسار . ويتطور الفم من خط افقي الى خطين متوازيين قد تصل بينهما خطوط راسية دالة على الاسنان ثم الى خط افقي مفرد معه خط رأسي صغير ثم الى مستطيل وتكون الاسنان على شكل مثلثات صغيرة، وهكذا تتوالى سلسلة التطور حتى يصل الفم الى الشكل البيضاوي.. هذا بالنسبة الى الوجه . اما الجسم فتراه اولا يتكون من رأس

وقدمين وتكون الرأس على شكل دائرة او ما شابهها وترسم القدمان على شكل خطين ثم يظهر بعد ذلك جذع الانسان بشكل بيضاوي قاعدته الى اعلى او الى اسفل وتظل الرأس كما هي على شكل دائرة واحياناً تتخذ شكل المثلث . ويجب ان اذكر القارىء ان هذا التطور في الرسم لا يمكن اعتباره قانوناً يجب ان يشمل جميع الاطفال اذ ان اي تعميم يختص بالجنس البشري يختلف عند تطبيقه من فرد لآخر .

ثم يظهر الذراعان على صورة خطين في نهاية كل منهما اليد ويمثل اليد ثلاثة خطوط منفرجة تمثل الاصابع . ولكن قد نجد اليد موضحة وقد نجد عدد الاصابع خمسة وقد نجد الكف خطاً وقد يكون على شكل دائرة . ثم يتطور الذراع فنراه مرسوما من خطين مزدوجين متسع عند الكف . ويماثل الساقان الذراعين في التطور . وتكون الذراعان والساقان في مبدأ الامر ملتصقة بالرأس ثم يلتصق الذراعان بالرقبة والساقان بأسفل الجسم .

وقد وجد ان وضع الذراعين والساقين يرمز لمدى ادراك الطفل للعلاقة بين اجزاء جسمه ولقد تبينت Goodenough ذلك فحاولت ان تضع معدلا لتطور رسم الطفل لصورة الانسان وجعلت هذا المعدل مقياساً لحالة الطفل العقلية ومدى تطوره وبمعنى آخر حاولت ان تجعله مقياساً للذكاء . وطبقت اختبارها هذا على الاطفال فيما بين ٤-١٠ سنوات فكانت تعطي الطفل قلماً وورقة ثم تطلب منه ان يرسم احسن صورة لرجل وتقدر الدرجة على اساس محتويات الصورة ومدى تناسق اجزائها ووضعها من الورقة . وفكرة اختبار Goodenough اساسها ان التقدم في العمر يتبعه وجود بعض التفاصيل في الرسم وزيادة في ادراك النسب بين الاجزاء المرسومة ، ورسم الاجزاء في وضعها الطبيعي مثل رسم الذراعين متصلين بالجذع لا بالرأس . كما يتبعه مراعاة بعض قواعد الرسم كرسم عين واحدة اذا كان الوجه في وضع جانبي او عدم رسم ساقين اذا كان هناك « بنطلون » يغطيها ... الخ .

وقد رأت Goodenough ان الطفل اقل من ٣ سنوات لا يستطيع ان يرسم صورة إطارية للرجل . وفي ٤ سنوات يرسم الراس والساقين والذراعين والعينين . وفي سن ٥ سنوات يرسم الساقين والرأس والجذع ويراعي النسبة بين الطول والعرض في الجذع . ثم انسان العين والعين والفم والجبهة .

وهكذا كلما ازداد عمر الطفل ازداد رسمه وضوحاً وموضوعية وامكنه ان يحصل على درجات اكبر .

القاهرة **سمير الشنداوى**

معهد علم النفس

الرجعة

☆

وغداً أعود !
لا الارض تحملني على كفي حنان
وتكاد تمسك خطوتي وتسمر القدم الجبان
وأكاد انتزع الوجود
نزعاً من الارض الحقود
هرباً أريد
هرباً الى مالا اريد !
هرباً على وجه الزمان
لاحس ، لا أفراح ، لا حرمان
لا حب يستبقي خطاي ولا مكان !

***

وغداً أعود !
الدرب يضحك والحجار
والشارع الممتد في ألق النهار
والظل يحبو في وقار
والوردة البيضاء في الركن القصي
تخفي جناحيها وتلصق بالجدار
وتهم تكتم ضحكة تقسو علي
وتلمها شفة الجدار
والصمت والاوكار
تكاد تشهق بالمنى .. وبرين في جفني اندحار
واضل في جنحي وأضؤل في انكسار
وتموت فيّ
آه ، وشوق ، وارتقاب
وهوى يوشحه الضباب
وخطا تعثر في التراب
لكأنني ماكنت في وجه الوجود
وكأنني ما عشت في شفة الورود
او لملمت أجفانها في راحتي

وغداً أعود !
ويحس بي نفح النسيم
فيلم أذيال النعيم
ويهم يصفعني فيمسكه الوجوم .
والباب في صمت ارتياب
يخفي « الصرير المرتجى » عند الاياب
ويحسها ، كفي ، مشوهة الاهاب
لا لم تكن تلك التي دفعته بالامس القريب
تلك التي كانت تجيء بها كتاب
واليوم ، لا ، لكأنها كف المريب .
وأقيم انتظر الجواب !...
ويطل وجه الخادم السمراء :
ـ من انت يا ؟... ويموت في وجهي الرجاء
ـ يا من أنا ؟ ... « وضحكت » ما هذا المزاح
تلك الرسائل ؟... ـ والرياح
ـ تذرو رماد العمر في جفن الصباح

***

وغداً أعود !
والباب مصطفق الجناح
والصمت يشهق بي ويهدأ في الجراح
وعلى جفون الشرفة الخضراء وجه مغلق
لا سر يغمره الحياء المطرق
وترد طرفاً عن غريب :
ـ «عفراء»!...من هذا الذي يطوي الدروب؟
في جعبتي صور لقطاع الطريق
من منهم ؟... لا ، لست اذكر ... لن تضيق
في عالمي ذكرى لرواد الشروق ...
وأعود أعثر في سهوم
وتعود تسخر بي الغيوم
إلا النسيم
يمحو خطا ضلت الى بيت قديم
شرفاته غلّقن في وجه النجوم

***

عبثاً أسير
والليل مبحوح الضمير
والدرب يدفعني ويصفعني النسيم

انعام الجندي



العقائد الاسلامية

للشيخ نديم الملاح المحامي ـ ٢٢١ صفحة من القطع الكبير ـ مطبعة دار الأيتام الاسلامية بالقدس

فضيلة الاستاذ الشيخ نديم الملاح من علماء الدين الاسلامي المجتهدين ، ومن حملة الاقلام الذين يتميزون بوفرة النشاط في الابحاث العلمية الادبية ، وهو اديب وشاعر تعرفه الاوساط الادبية في الاردن وتجل مكانته . وقد اصدر في وقت مضى مجلة دعاها « الحكمة » لم يصدر منها سوى اثني عشر عددا ، ثم اقعدها ما يقعد كل مشروع أدبي او علمي راق في هذا البلد . وفي حقل التأليف اصدر الاستاذ الملاح قبل « العقائد الاسلامية » كتاباً دعاه « حقوق المراة المسلمة » كان قد نشره تباعاً في جريدة « الاردن » ، وكتاب « نموذج الفضائل الاسلامية » ، كما نشر في الصحف كثيراً من القصائد والمقالات ، وبعض هذه المقالات بعنوان « نقدات طائر » استدرك فيها على كتاب « خطط الشام » للعلامة محمد كرد علي ، وعلى بعض قرارات مجمع اللغة العربية الملكي . وله من المؤلفات غير المطبوعة بعد ديوان شعر ، وكتاب « في الميزان » يستدرك فيه على كتاب « الشعر الجاهلي » لطه حسين ، ومجموعة مقالات بعنوان « المشاعر » ، و « الفلاسفة السبعة » و « سر البلاغة » .

وكتابه الجديد « العقائد الاسلامية » الذي يدل عنوانه على موضوعه ، يشتمل على ابحاث مطولة شاملة « لاهم العقائد الاسلامية ، واعظمها خطراً ، وادقها فهماً ، واحوجها الى التحقيق والتوضيح » . والقارىء لهذا الكتاب يلمس ما فيه من الجهد الكبير ، والبحث الهادىء الرصين ، والاعتماد على مختلف المراجع والاسانيد ، ومناقشة مختلف الاراء في الموضوع الواحد مما يدل على جلد واخلاص للبحث ، على ما في الابحاث الدينية من الامور الشائكة وما تدفع اليه من احتكاك آراء المذهب الواحد والاخر ، لا سيما في المسائل الجوهرية . وقد اصبحنا نرى ان الاديان هي اهم عوامل التفرقة في المجتمع ، واقدرها على تمزيق وحدة الانسانية ، مع انها لم تكن في الاصل الا للسمو بالانسانية وتهذيب النفس ، وتقريب الكمال الى البشرية

ولسنا نقول ان الاستاذ قد اعطى لكل مسألة حلها الاخير ، فهناك امور لا تتفق فيها النظريات العلمية والمعتقدات الدينية : مثال ذلك مذهب داروين في اصل الانسان ونظرية التنازع . ولكن الاستاذ قد ناقشه بهدوء نقاشاً يعتمد على فطنة وفهم ، وكان لا بد له ان يقف فيه الى جانب الدين ، ولكن هل هذا يتفق مع واقع الحال ام لا يتفق ؟ ان مثل هذه العقدة لا يحلها عقل انسان واحد ، ولا نظرية دينية او مذهب علمي ، فهي ميدان لاراء ومذاهب متعددة ، تقف عندها الاجيال لتناقشها ولكنها لا تقطع برأي نهائي ، ولكل انسان اجتهاده في هذا الحقل الواسع .

عمان

عيسى الناعوري

ظهر حديثاً :

• ديوان شبلي الملاط ـ الجزء الثاني ـ ٥٣٦ صفحة ـ حجم كبير ـ دار الطباعة والنشر اللبنانية ـ بيروت

شاعر الارز الاستاذ شبلي الملاط غني عن التعريف ولسنا نحاول هنا الكتابة عن هذا الاثر الادبي الجليل ، بل نترك ذلك الى مناسبة قريبة نستطيع فيها ان نفي هذا الديوان القيم حقه من الدرس والنقد ، ونكتفي الان بهذا التعريف المألوف :

محتوى الديوان : «المقدمة ، الفاتحة ، وقفاتي في بلاد العرب الحقل الروائي ، الحقل الاجتماعي ، الحقل الصابي ، الحقل الشاجي ، الحقل الطليق » .

وقد كتب المقدمة المرحوم الامير شكيب ارسلان الملقب بامير البيان ومما جاء فيها :

« شعر الاخ الاستاذ شبلي بك الملاط لا يمكن وصفه باحسن من عرضه ، ولا نعته بخير من الحث على حفظه . فانه لا يبلغ الواصف منه معشار ما يبلغ هو من نفسه . فهو الشعر الذي يصح ان يقال فيه : عينه فراره ، وسره استظهاره ، وتعريفه تبليغه ، وتحليته تسوغه ، وروايته رواؤه ، ونعته جلاؤه ، والاشادة به نفس انشاده ، والترنم بمدحه مجرد ايراده . فهما



ذكرى ليوناردو دفنشي وسرقة الجوكندا

احتفل في شهر يوليو الماضي بالذكرى الخمسمئة لمولد ليوناردو دفنشي، الذي تملك فرنسا معظم لوحاته الهامة. وقد رأينا ان نقتبس الى قراء الاديب المقال التالي مما نشر باللغة الفرنسية في تعريف الفنان العظيم.

•

لم يكن غرام كاترينا وسير بيارو كغيره من قصص الحب القصيرة، التي تشتعل جذوتها فجأة، ولكنه كان غراماً من نوع فريد. اكتسى من سماء توسكانيا زرقة لازوردية، ومن شجيرات زيتونها لوناً رمادياً فضياً، وخضرة نفاذة من شجيرات الكرمة والاعشاب البرية التي كانت تكسو جنبات جبل الالبانو.

ولو قدر لكاترينا ان تمزق سحب الغيب الكثيفة لترى ابنها يبلغ درجة من الرفعة تجعله نداً للامراء والملوك، لما كانت تنازلت عنه بهذه السهولة لعائلة حبيبها سير بيارو.

نشأت كاترينا في قرية فينشي القريبة من فلورنسا، وكانت فتاة قروية اوتيت نصيباً وافراً من الجمال، ولكن فقرها حال دون زواجها من سير بيارو، الكاتب العدل، الذي بادلته حباً بحب... وكأن عائلته شاءت ان تضع حداً لهذه العلاقة بين الشاب والفتاة، فزوجته من فتاة اخرى غنية هي البيرا دي جيوفاني امادوري.. بعد ان وضعت له كاترينا ولداً غير شرعي هو ليونارد.

ولما تزوجت كاترينا، بعد ذلك من أحد الفلاحين، انتزع سير بيارو ولدها من بين احضانها، وعهد به الى احدى النساء، فنشأ ليونارد غريباً، محروماً من حنان الام وعطفها. وكان لهذا ابلغ الاثر في عقلية الطفل فانصرف حبه الى الطبيعة، وما حوته من جبال وانهار، وسهول، ونباتات وكائنات حية، وبلغ من حبه للحرية ان كان - لما ابتسم له الحظ - يشتري الطيور ليطلقها من اقفاصها.

وتردد، غداة مولده، بين سكان البلدة ان جنيات توسكانيا اغتنمن فرصة اغفاءة والدته فاحطن به ليمنحنه اعطياتهن.

فوهبته الاولى جمال الصورة، والكمال، والمحبة. ووهبته الثانية قوة جسدية خارقة ورقة لا نظير لها. ووهبته الثالثة من الذكاء ما يجعله يذلل كل ما يعترض سبيله من مصاعب بسهولة ويسر. ووهبته الرابعة منطقاً يخلب لب من يصغي اليه.

وقالت الخامسة: لتكن فناناً عظيماً، ورياضياً عالماً بالطبيعة والفلسفة والموسيقى، وفن البناء، والنحت والتصوير. اما السادسة فكانت اقل سخاء من اخواتها فتنبأت لليونارد مزاجاً متقلباً يباشر اعمالا ولا يفرغ منها، فتبعثر او تفقد. وسارعت السابعة، وكانت افتاهن، الى اصلاح ما افسدته سابقتها فطمأنت اخواتها الى ان ما يتبقى من تحف ليونارد سيكتب لها الخلود وستحاط بالتقديس والاحترام. وقد جاءت الايام بعد ذلك محققة هذه التنبؤات.

وانصرف ليونارد للتصوير حيناً، وللعمل الحر حيناً آخر، حتى جاء والده في احدى الامسيات فلاح طالباً اليه تزيين درعه بالرسوم. فعهد سير بيارو بهذه المهمة الى ابنه ليونارد.

قدح ليونارد زناد فكره ملياً، فما عساها تخط ريشته على هذه الدرع من رسوم. ولم يلبث ان التمعت في خاطره فكرة غريبة، فقرر ان يرسم صورة مخيفة تلقي الرعب في قلب من يحاول الاعتداء على صاحب الدرع بمجرد النظر اليها.

وسرته هذه الفكرة فقام يجمع عدتها: خفافيش، حيات حرباء، كلباً ميتاً، سلحفاة، وقنفذاً، ثم الف من هذه المجموعة المتنافرة صورة وحش مخيف كتنين يخرج من صخر فاغراً فاه والشرر يتطاير من عينيه ومنخراه ينفثان اللهيب... حتى ان والده لم يستطع حين رآه للمرة الاولى الا ان يتراجع هلعاً ورعباً ولكن اعاد اليه روعه صوت ابنه ليونارد وهو يقول باسماً: هذا ما كنت ابغي.

واثارت هذه الحادثة اهتمام الوالد فاحب تنمية مواهب ولده في هذه الناحية، لاستغلاله فيما بعد، فعهد به الى احد اصدقائه الفنانين في فلورنسا، الذي سرعان ما اكتشف مواهب هذا الفتى الذي لم يتجاوز السادسة عشرة من عمره وكلفه بتصوير لوحات اخذت تظهر مواهبه وعبقريته بشكل يثير الاعجاب.

واستيقظت غريزة العلم في هذا الشاب، فاخذ يخالط العلماء الذين كانوا يفدون الى مرسم استاذه، ويأخذ عنهم العلم ويستشيرهم في بعض ما يجول في خاطره الفتي، حتى انه كثيراً

ما كان يحرجهم باسئلته ويثير في عقولهم الشك والحيرة، وهكذا.. انصرف الى اتقان العلوم الطبيعية، والتاريخ الطبيعي، والميكانيكا، في اوقات فراغه ، وكان من اثر هذا الدرس انه استطاع ان يخترع آلات كثيرة منها ما هو لتصفيح المعادن وخرطها، وساعة مائية ، وساعة بالهواء المضغوط ، واشتغل مدة بعلم الفلك ، مع الفلكي الشهير توسكانيللي .

وفي العشرين من عمره جاز فترة التمرين وسجل اسمه في سجل الفنانين الاحمر ، ولكن انعدام الموارد اضطره للبقاء لدى استاذه فروشو لقاء ما يقيم اوده .

ومضت سنتان على خروج ليونارد من مرسم فروشو فكلفه بلاط فلورنسا برسم لوحة لكنيسة سان برناردو .

وضع الفنان ليونارد تصميم اللوحة في مخيلته وابتسم لما ستعود عليه بالثناء، ولكن القدر أبى الا ان يعانده فقد اطاحت باحلامه فتنة عمت بلاد توسكانيا ، وانتشرت الرعب فيها ، ولكن البلاط عوض عليه فعهد اليه برسم لوحات عدة .

وفي هذه الاثناء اندلعت الحرب بين روما ونابولي وفلورنسا فانصرفت عبقرية ليونارد الى وضع تصاميم للاسلحة الحربية ، واخترع فوهات لمدافع ثقيلة ، ووضع تصاميم مدفع خفيف متعدد الفوهات ، وشبه مدفع رشاش مركز على فوهة رئيسية تستعمل عجلاتها الستة للتصويب الدقيق.. ولكن لم يأبه لرسومه احد.

ولما عقد الصلح طوى ليونارد مشاريعه ورسومه هذه وعاش عيشة ضنك ، ولكن دراسته للعلوم انسته متاعبه ، فصنع قيثارة على شكل رأس حصان ربطت اوتارها باسنانه ، وقد رآها الامير لوران دوفيدتيشي فاعجب بها فاشتراها واهداها لسيد ميلانو لودفيك سفورزا .

وهنا اتصل باحد فناني القصر الذي عهد اليه برسم عدة صور لاحدى الجمعيات الدينية ، ومن هذه الصور، الصورة التي دعيت فيما بعد باسم « العذراء في الصخور » والتي تعد اليوم من اروع اللوحات التي يحويها متحف اللوفر .

وعهد اليه الآباء الدومنكيون برسم يمثل العشاء الاخير في لوحة كبرى لتوضع في القاعة التي يتناولون فيها طعامهم، فعكف كعادته زمناً طويلا برسم خطوطاً ، ويصمم اخيلة ، الى ان رسم صورة تلاميذ المسيح كلهم ما عدا صورة السيد المسيح وصورة يهوذا وعندما استعجله الدوق في انجاز اللوحة ، اجاب ليونارد لم اجد حتى الان من يليق بان يكون نموذجاً لصورة المسيح، في قدسيتها، كما اني لم اجد نموذجاً في خسة يهوذا ودناءته.

وعاد الى مسقط رأسه فلورنسا ، بعد غياب دام ستة عشر عاماً ، وفور عودته عهد اليه الرهبان برسم لوحة ، لكنيسة نوتريانا ، فرسم صورة نموذجية ، ولم ينقلها الى اللوحة الا بعد سنوات عدة، وهذه اللوحة موجودة الان في متحف اللوفر ايضاً.

وفي هذه الاثناء انصرف فكره الى دراسة تحليق الطيور وامكانية طيران الانسان، وفكر في ربط جناحين برجل ووصل هذين الجناحين بحركة القدمين ، بواسطة حبال ، وصمم على ان ينفذ شروعه من احدى قمم الجبال ، ولكنه انصرف عن هذا المشروع عندما كلفه بلاط فلورنسا بشق قناة تربط مدينة فلورنسا بمدينة بيزاه. ومن ثم عاد الى الرسم ثانية .

وانصرف في السنوات الاولى من القرن السادس عشر الى رسم الخطوط الاولى لموناليزا جيرارديني زوجة الثري الفلورنسي فرنسسكو دي زنوبي دي جوكندا ـ ومن هنا جاءت تسمية اللوحة بالجوكندا ـ فقد بهر الفنان بصفاء التقاطيع وجمال وجه هذه السيدة فاقدم على عمله بحافز من الغبطة النفسية دون ان يطلب زوجها منه ذلك ، فقضى اربع سنوات يرسمها بعناية ودقة، وكان خلال فترات الرسم الطويلة لا ينفك يعرض على اسماعها الالحان الموسيقية العذبة ، ويضع تحت انظارها المناظر المسلية لكي يحتفظ وجهها برونقه الجذاب .

وفي عام ١٦١٥ استدعاه فرنسوا الاول ملك فرنسا، فاجتاز جبال الالب ومعه لوحته الخالدة الجوكندا . وقطن قصر « كلو » بالقرب من امبواز ، وبعد مدة وجيزة باع اللوحة من الملك باربعة آلاف ليرة ذهبية ، وهو ثمن باهظ بالنسبة لذلك العصر .

واحل فرنسوا الاول هذه اللوحة مكان الشرف في ديوانه بقصر فونتنبلو . وفي القرن السابع عشر نقلت هذه اللوحة بانتقال الاسرة المالكة الى فرسايل . وفي سنة ١٨٠٠ جاء بها نابليون بونابرت الى قصر التويلري وعلقها في غرفة نومه . وفي عهد نابليون الثالث طالب متحف اللوفر بها ، فنقلت اليه، وباتت منذ ذلك اليوم فخر المتحف ، وبقيت فيه حتى سنة ١٩١١ تلك السنة التي عدها الفنانون كارثة وطنية، اذ سرقت فيها هذه التحفة.

وسرقة الجوكندا قصة لا تخلو من الطرافه ، وخلاصتها أنه جاء في الثاني والعشرين من شهر آب ١٩١١ من ابلغ امين متحف اللوفر ان الجوكندا قد سرقت فانتشر النبأ في العاصمة والبلاد انتشار النار في الهشيم ، وجزعت الدولة لذلك جزعاً كبيراً

وجندت قوات الامن في فرنسا وبلجيكا وايطاليا للبحث عن الجوكندا ، ووضعت لذلك جوائز ضخمة تقدر باربعين الف فرنك ذهباً لمن يعيد اللوحة وعشرة آلاف فرنك لمن يرشدالى طريق تؤدي الى معرفة السارقين،واستمرت هذه التحريات سنتين

وفي اواخر سنة ١٩١٣ نشر احد هواة الفنون في فلورنسا اعلاناً في الصحف ، يعرض فيه رغبته في شراء لوحات وتحف فنية ، لاقامة معرض فني في فلورنسا ، فوردته ردود عديدة ، وفي صبيحة احد الايام تلقى رسالة من باريس مذيلة بتوقيع « ليوناردي فنشنزو » يبلغه فيها ان الجوكندا موجودة لديه ، وان بوده التفاوض معه .

فسر صاحب العرض الفلورنسي بهذه المفاجأة، واتصل بالسلطات يخبرها بقرب وصول ليوناردو فنشنزو مع التحفة .

وفي ١١ كانون الاول دخل مكتبه شاب ضعيف البنية تبرق عيناه بالحذر، واخبر باسمه الحقيقي «فنسنجو باروجيا» وقال انه مستعد لبيع الجوكندا بخمسمئة الف فرنك وانه يسره ان يعيد تحفة ليوناردو دوفنشي الى فلورنسا صاحبة الحق الاول فيها ، فقبل الرجل . وسرعان ما احضر اللص صندوقاً خشبياً كانت اللوحة مخبأة فيه مع ثياب مستعملة واحذية قديمة، وعندما اخرجها كان في اسفلها خاتم اللوفر، ورقمها المتسلسل مما يثبت صحتها .

ولما تأكد الفلورنسي من صحتها اوهمه ـ كي لا يدخل الشك الى نفسه ـ ان عليه مقارنتها بلوحات الفنان الاخرى الموجودة في فلورنسا ، وانه اذا ثبتت صحتها فسيدفع ثمنها . وفي غداة اليوم التالي حضر مفوض الشرطة فاعتقل الرجل الذي اعترف انه سرق اللوحة من اللوفر ، وانه تمكن من ولوج المتحف بحكم عمله فيه ، فلم يشتبه فيه احد .

واغرب ما في الامر ان السارق صرح مفتخرا بفعلته: اذا كانت الجوكندا قد عادت الى فلورنسا فالفضل يعود الي ، لقد ساءني دائماً ان ارى الجوكندا في باريس كالمتاع المسلوب ، واعتبارها مجداً فرنسياً وقد قوبلت هذه الاقوال بالسخرية .

وبدأت المحاكمة في حزيران ١٩١٤ وانتهت بالحكم عليه بالسجن سنة وخمسة عشر يوماً ، ثم جاءت الحرب العالمية الاولى فطمست القضية طمساً تاماً .اما السارق فقد توفي في قرية صغيرة من قرى السافوى العليا سنة ١٩٤٧ مغموراً منسياً .

***

وصاحب دوفنشي فرنسوا الاول ردحاً من الزمن كان فيه مستشاره في كثير من الامور واصبح رسام البلاط ، الذي يعهد اليه في كثير من الاوقات بوضع تصاميم ازياء النبلاء والاشراف لحفلات الرقص والمهرجانات .

الا ان الفنان العظيم لم يلبث ان شعر بالوحدة بالرغم من مظاهر الود التي كان محاطاً بها، وفي الثالث والعشرين من نيسان ١٥١٩ استدعى اليه كاتب العدل الملكي في امبواز ، فتلا عليه وصيته ، وبعد ايام اغمض جفنيه الى الابد .

وقد بكاه فرنسوا الاول كثيراً وامر بنقل جثمانه الى جانب امراء الاسرة المالكة الفرنسية . اما مخطوطاته فقد تشتت كما تشتت لوحاته . وقد اعترف احدهم انه اشترى من رجل معدم كتاباً عن التصوير والنحت والبناء من تأليف ليونارد دوفنشي بخمس عشرة ليرة ذهبية ، وقد تجلت في هذا الكتاب ـ على حد قول الشاري ـ عبقرية هذا الفنان الذي يعتبر من اعاظم الرجال الذين عرفهم التاريخ .

مقتبسة عن الفرنسية

فهمي عالم

حول « لمن ؟ »

نفشر فيما يلي شاكرين ، ما تلطف بكتابته الاساتذة الادباء والنقاد ، وما نشرته الزميلات الكريمات عن « لمن ؟ » وهي مجموعة من الشعر الرمزي الطلق ـ لالبير أديب ـ مزينة بالرسوم الملونة بريشة الفنانة شهر زاد ـ ١٢٠ صفحة ـ ورق صقيل ـ اخراج فاخر ـ منشورات دار المعارف بمصر .

***

من الشعر الجميل الذي تلوته في صباي ولا زال صداه يتردد في نفسي الى الآن قصيدة قرأتها للشاعر الانكليزي شللي بعنوان «حلم» A Dream استهلها بقوله :

I dream'd that as I wander'd by the way,
Bare winter suddenly was changed to Spring,

تحدث فيها عن حلم رآه . فقد رأى نفسه في حديقة غناء تصدح طيورها وتنفح ازهارها . ثم يسترسل الشاعر في وصف هذه الحديقة المسحورة حتى ينتهي به المقطع الاخير الى باقة تتجمع مما اقتطفته انامله من الازهار. واذ يرفعها الى أنفه بعبقها الفواح لا يدري يقدمها ... لمن ؟

I hasten'd to the spot whence I had come,
That I might there present it — O ! to whom ?

ويأتي السؤال في آخر المقطع كرنة الوتر المرن تحت الدقة الاخيرة O ! to whon ?

وكأني قرأت – مؤخراً – قطعة للشاعر عمر ابو ريشة في المعنى نفسه « في ديوانه المطبوع » لعله مقتبس من هناك .

ان الذي اعاد الى ذهني صورة تلك القصيدة هو هذا الديوان الصغير بحجمه الانيق بشكله الرفاف بروحه الذي اختار له صديقي النابغة الاستاذ البير اديب عنوان « لمن ؟ » . فهو مجموعة من الشعر الرمزي الذي اخذ يحتل مكانته في الادب العربي الحديث.

ان الرمزية ظاهرة حديثة العهد في شعرنا لا تتجاوز عصر جبران خليل جبران . وان لم يخل ادبنا القديم في بعض صوره من نماذجها. كما قد بسط ذلك الاستاذ عدنان الذهبي في بعض دراساته القيمة حول هذا الموضوع . ولقد اقتبسها شعراؤنا من الادب الغربي فيما اقتبسوه. ولذلك لا تزال في العالم العربي فئات يصعب عليها الى اليوم ان تتذوق هذا النوع من الشعر لانه يصعب عليها ان تجاري اتجاهه ومنحاه.

ولقد نشأت هذه الصعوبة في تفهم الشعر الرمزي من ناحيتين فهو يختلف عما الفناه من عمود الشعر في صياغته كما يختلف عنه في اداة تعبيره . ولقد قلت مرة « ان السواد الاعظم من الناس يتحاشون النظر في الشعر ... تحاشيهم الغوص في البحار .. فاذا التفتوا – مرة – الى آثار هذا الفن كان التفاتهم الى جمال الصياغة دون التفاتهم الى جمال التعبير . والبون بينهما شاسع . فالصياغة لا تستلزم معنى الحياة بينما التعبير لا يكون الا عنها » .

هذا فيما يتعلق بالشعر المأثور . فكيف اذا جاوزه الى شيء يختلف عنه في صياغته وتعبيره . فليس الشعر الرمزي موزوناً او مقفى. وانما ينظم في غالب الاحيان مجرداً من القوافي والاوزان هذا من حيث الصياغة . اما من حيث التعبير فهو لا يعتبر هذا القول دائراً بين ذاتين – انا وانت – وانما خواطر منبثقة حول الذات وانطباعات مرسلة تشع بها هذه الذات الواحدة في عالمها اللاشعوري .

ان الشعر الرمزي له صياغته الخاصة لانه لا يعتمد في موسيقاه على نغم الالفاظ الذي لا حياة للشعر الغنائي بدونه. فهو لا يتوخى – مثل الغناء – تصوير معنى الطرب اصلا . ولا هو يعتمد في تأثيره على تعاقب الومضات الفكرية التي عليها جل اعتماد الشعر الخطابي . فهو لا يتوخى مثل الخطابة فرض سيطرة المنطق على الشعور كما هو الحال في كل ما يصدر عن العقل الواعي . وانما يعتمد الشعر الرمزي في ايحائه على موسيقى لا هي صادرة عن الحروف ولا هي قائمة على المعاني وانما على صور تتتالى تخلق في النفس بتتاليها معنى الانسجام فتكشف لنا على ضوء هذا التتالي حالة للنفس تخرج في حقيقتها عن ظاهر الوعي او الشعور الى باطن العقل في غمرة من اللاشعور .

وان الشعر الرمزي له تعبيره الخاص . فهو لا يحدثنا مطلقاً عن الواقع الملموس في كل ما تشهده الحواس ولا يستدرجنا بالمنطق الى كل ما تعيه العقول . وانما اداته الاخيلة المجنحة التي تتارجح عليها الذات في كل ما يلم بها من حالات . فكانما هو تصوير لتلك الحياة الداخلية التي يحياها الانسان كالموجة بحكم فرديته – في نفسه ولنفسه في خضم الحياة. لا هذه الحياة الخارجية التي يساير فيها – بحكم علائقه – سواه بين الجموع مندفعاً مع التيار

فانت لا تسمع – اذن – في الشعر الرمزي لغة القلب الى القلب ولا العقل الى العقل . وانما يتهافت عليك من بعيد – وكانما هو منبثق من اعمق الاعماق – بوح الروح وهمسها في نجواها الباطنة وما تحمله من إنطباعات داخلية ازاء كل حادث يهزها من بعيد او يمسها من قريب .

***

وهذه المجموعة التي اتحف بها ناشئة العصر منشيء «الادب» تحتوي – اذا تأملت – على نماذج من خير ما نظمه الشعراء الرمزيون . على ان محتويات الكتاب أشبه شيء بتلك الباقة التي ألفها – في حلمه – شللي من كل لون بهيج ففيها انطباعات روحانية عن المجتمع كما في «حياتنا» . وعن الفنون كما في «النقد الاول» . وعن الحب كما في «صدى» . وعن سر الحياة كما في « خلق » . الى آخر ما شاءت روحه الفنية من المواضيع ... اثناء تقلبها في تلك الاجواء .

تأمل مثلا قطعة « أنت » في هذه المجموعة . فهي بحق من اجمل ما نظم في معناها . ولعلها خير شاهد على حسن ما يحفل به الديوان .

حقيرة أنت ... خلمت عليك المجد ، فكنت ، وأشع الغرور ، من مقلتيك ، ومن كل عبق فاح منك . ايها الصنم الذي خلقت ، خسئت الرفعة فلست مني ، من بقايا الشجون ، وثمالة الكأس ، واتراح دني ، جبلت الوم ، ظمآن ، وقلت له كن ، فكنت ، من أنت ، بربك ، من أنت !! وقف الصدى عن ترجيع ، صلاتي ، فكنت .

ففي هذه القطعة الجميلة صدى لروح عاشقة صدمت في حبها . فاخذت تلملم الذيل مجروحة الكبرياء. وانها لتسوق هذا الحديث

حديث الكبرياء الجريحة الى نفسها وحدها في غمرة من العزة والاشفاق . واود ان لا تفوتني هنا فرصة التعليق عليها ولو تعليقاً عابراً نظراً لما تزخر به من حيوية وانفعال .

يحس العاشق « الذي يتمثله الشاعر » ازاء من ـ كان ـ يهواها هذه الاحاسيس الغامضة . فهي ليست سوى خواطر عابرة تمر عليه لا امامها فهي ليست هناك . وانما امام صورة او رسالة لها اثارت الذكريات فتأكد ايها القارىء الكريم انها غير مقصودة ـ ذاتا ـ بهذا الحديث .

حقيرة انت

فقد ادرك اليوم هذا العاشق انها لا تستحق ـ لجمالها ـ كل هذه الرعاية والتقديس .

خلعت عليك المجد ، فكنت

وهذه هي عبرة العبر فكل محب يرى فيمن يحب ميزة تسمو به على البشر . فيقصده بالعبادة . ولو تأمل هذا العاشق بعين اليقين لادرك ان هذه المأثرة انما هي من خلق عينيه واشعاع روحه.والا فليس الحبيب كغيره فرداً من الناس . ألم يقل المتنبي

لو فكر العاشق في منتهى   عشق الذي يسبيه ... لم يسبه

والحبيب هذا ... اما كان يعرف حقيقة نفسه . كلا . فان غرور النفس ـ وما اشد تعلق الانسان بالغرور ـ سرعان ما يجعلها تعتقد لنفسها ما ليس لها ازاء هذا الالحاح من المعجبين .

وأشع الغرور
من مقلتيك
ومن كل عبق فاح منك

فقصارى هذه الانسانة التي فتنت بنفسها ان تصبح صنما معبوداً . وادرك العاشق ـ بعد لأي ـ جلية الامر . وانه هو الذي رفعها الى هذه المنزلة المرموقة . وماذا يفعل عابد الصنم عندما يتحقق ان معبوده من حجر ...

أيها الصنم الذي خلقت ، خسئت الرفعة ، فلست مني .

انه يعلن براءته منها.ولكن حنانيك ما الذي جعل هذا القلب في ماضيه ينظر الى معبوده المحطم تلك النظرة السابقة ... التي تنكر لها الان . لقد ذهب العاشق يحلل فما وجد وراءه غير الوهم .

من بقايا الشجون
وثمالة الكأس
واتراح دني
جبلت الوهم
ظاآن
وقلت له كن
فكنت

لقد كان ظاآن اذن ! وحق للعاشق ان ينفض منها يده . لانها لم تعد ذلك المعبود المقدس في هيكل حبه . فالهيكل تهاوى حول احلامه . والصنم بات ممرغاً في التراب

من أنت
بربك
من أنت

وصمت العاشق وصمت معه كل شيء . ولكن شيئاً واحداً لم يصمت هو خفقان قلبه . فما البغض وتعمد التحقير الا صوت الحب نفسه مخنوقاً ... صادراً من الاعماق . لقد تحطم الصنم المعبود . ولكن شبحه في مرآة النفس هو هو كلما عادت باحلام جفون الليالي ولمست جرح ذكراه اصابع الايام .

وقف الصدى عن ترجيع
صلاتي
فكنت

كنت هذا الحطام المكسور بين يدي الان ...

وقد استشهدت بهذه القطعة لا لانها تنفرد بميزة خاصة في الديوان . فهناك « توحد » «صفحة ٩٣» و « مجدلية» «صفحة ١٠٨ » و « قلق » « صفحة ٧١ » واخيراً « لمن ؟ » « صفحة ٧٤ » التي صدر بعنوانها الديوان . وكلها على هذا المستوى الرفيع من الاشراق . انها جميعاً تنهج هذا النهج في التعمير عن مختلجات النفس وراء عالم التهور ـ بلغة رمزية زاخرة بموسيقى الصور حافلة برقص الاشباح .

وما الشعر الرمزي في حقيقته الا موسيقى صور ورقص اشباح

«صوت البحرين» البحرين   **ابراهيم العريض**

هذا كتاب اخرجه بلبل صداح، واديب مفن ساحر حلو البيان ، غزير المعاني ، عظيم الشان

هو « البير اديب » اشهر من نار على علم ، وصاحب مجلة «الاديب» الشهيرة التي تصدر في بيروت عاصمة لبنان مهد الادب والسحر والفن والجمال، ومهبط العروبة من بني عدنان وقحطان رجل يصدر مجلة في قلب الشرق العربي كهذه المجلة ... موسوعة تنبض بالادب العالي ، والعلم الوافر ، والبيان الساحر، ثم يأبى ليخرج لعالم الادب العربي نفثة شعرية كأعلى ما يكون الشعر رمزاً وفناً وخيالا وجمالا ، وروضاً يانع الزهر مورف الشجر ، شذي العطر ، هو الكتاب الذي اسماه « لمن ؟ » .



٢٣ يوليو ١٩٥٢ – الف نجيب الهلالي باشا الوزارة المصرية واسند فيها منصب وزير الحربية البحرية الى القائمقام اسماعيل شيرين بك صهر الملك ، وقد صدرت المراسيم بذلك مساء امس .

– قام اللواء محمد نجيب بك بحركة انقلاب عسكري في القطر المصري وقد اصدر عدة بلاغات جاء فيها ان الرشوة والفساد وعدم استقرار الحكم وتآمر الخونة ونكبة فلسطين هذه العوامل كلها حدت بالجيش إلى القيام بحركته التطهيرية التحريرية . وقد القي القبض على عدد من ضباط الجيش الكبار بينهم الفريق محمد حيدر باشا قائد القوات المسلحة واصبح اللواء محمد نجيب بك قائداً عاماً للقوات المسلحة .

– اكد اللواء محمد نجيب بك أن الجيش لن يتدخل في السياسة وهو يطالب بتنفيذ الدستور . وقد ارسل رسالة خاصة بمطالب الجيش الى الاسكندرية حيث يصطاف الملك والحكومة فكان أن اصدر الملك فاروق مرسوما بتعيين اللواء محمد نجيب بك قائداً عاما للقوات المسلحة في مصر وقبول استقالة الفريق حيدر باشا . واستقالت حكومة نجيب الهلالي باشا وكلف علي ماهر باشا بتاليف الحكومة الجديدة . والحالة هادئة بمصر .

٢٤ – الف علي ماهر باشا الوزارة المصرية من المستقلين .

٢٥ – أعلن البنديت نهرو ان اتفاقا وقع بين كشمير وحكومة الهند يلغى بموجبه حكم المهراجا في كشمير ويقضي الاتفاق بان يعين رئيس الجمهورية الهندية رئيس دولة كشمير بتوصية من ولاية كشمير لمدة خمس سنوات وتعتبر كشمير بموجب الاتفاق جزءاً من الاتحاد الهندي ويمنح سكانها التابعية الهندية

– استقال الدكتور حافظ عفيفي باشا رئيس الديوان الملكي المصري .

– رشح الحزب الديمقراطي الاميركي المستر ادلاي ايونغ ستيفنسن لانتخابات رئاسة الجمهورية المقبلة .

٢٦ – نزولا على ارادة الجيش والشعب تنازل الملك فاروق عن العرش لابنه الامير احمد فؤاد وغادر الملك القطر المصري مع جميع افراد عائلته في الساعة السادسة مساء مبحراً الى اوروبا وهو الموعد الذي حدده الجيش لمبارحته مصر وتنازله قبل الظهر .

– نادى مجلس الوزراء المصري بالامير احمد فؤاد ملكا على مصر والسودان باسم الملك احمد فؤاد الثاني . وتسلم المجلس صلاحيات الملك الدستورية الى ان يعين مجلس الوصاية . ويبلغ الملك ستة أشهر من العمر .

٢٧ – توفيت السيدة ايفا بيرون عقيلة رئيس الجمهورية الارجنتينية .

– الف الدكتور مصدق الوزارة الايرانية الجديدة .

٢٩ – اعلن وزير المالية البريطانية ان عجز بريطانيا الذي كان ١٢٥٠ مليون جنيه العام الماضي خفض الى ٤٠٠ مليون .

٣٠ – قررت الحكومة المصرية الغاء جميع الرتب والالقاب المدنية وقررت عرض قضية الوصاية على العرش على مجلس الدولة . وافرجت عن جميع المعتقلين بتهمة العيب بالذات الملكية .

٣١ – اصدر الدكتور مصدق رئيس الوزارة الايرانية امراً بابعاد الاميرة أشرف شقيقة الشاه والأمير علي رضا شقيقه .

اول اغسطس ١٩٥٢ – وصل الاميرال مونتباتن قائد الاسطول البريطاني في البحر المتوسط الى بيروت في زيارة يقوم بها لأكثر موانىء المتوسط ،

٤ – عين العقيد أديب الشيشكلي نائبا لرئيس الوزارة السورية ووزيرا للدولة يشترك بالوزارة وينوب عن رئيسها مهما كانت اسباب تغيبه ويتمتع بصلاحيات الرئاسة مع احتفاظه بوظيفته كرئيس لاركان حرب الجيش السوري .

٥ – حلف مجلس الوصاية الموقت على عرش مصر اليمين القانونية في قصر عابدين الذي اتخذ مقراً لاعضاء المجلس وهم الامير عبد المنعم والدكتور بهي الدين بركات والقائمقام اركان حرب محمد رشاد مهنا .

٦ – يستمر انعقاد مؤتمر حلف الباسفيك في هونولولو ويحضره وزراء خارجية الولايات المتحدة واوستراليا ونيوزيلندا .

– قررت الحكومة الاردنية الغاء جميع الالقاب في المملكة .

٨ – بعثت الحكومة الايرانية بمذكرة جديدة الى بريطانيا حول نزاع الزيت تنطوي على عرض لمعاودة المفاوضات مع شركة النفط وانه اذا لم يتم الاتفاق بوسع الشركة ان تعرض قضيتها على المحاكم الايرانية .

١١ – عقد مجلس الأمة الاردني النواب والاعيان جلسة سرية ثم اصدر قرارا بانهاء ولاية الملك طلال بالنظر لحالته الصحية والمناداة بولي عهده الامير حسين ملكا دستوريا . ولما كان الملك الجديد يبلغ ١٧ عاما فقد تالف مجلس الوصاية من السادة : رئيس مجلس الاعيان ابراهيم هاشم وعبد الرحمن رشيدات وسليمان طوقان عضوي ذلك المجلس .

١٢ – وصل الى نيويورك الملك فيصل الثاني ملك العراق والأمير عبد الله الوصي في زيارة للولايات المتحدة .

– سلمت الدول الغربية الحكومة السوفياتية مذكرة جديدة تتعلق بالنمسا .

١٤ – عرض السيد شومان وزير الخارجية الفرنسية على الدكتور ايدناور مستشار المانيا الغربية ، مشروعا جديدا بشان مصير منطقة السار التي يطلب الالمان انهاء نظام ارتباطها بفرنسا

١٦ – رفض الاتحاد السوفياتي المقترحات التي قدمتها الدول الغربية لعقد الصلح مع النمسا

١٩ – قامت القلاع الطائرة الأميركية بضرب المصانع الحربية شمالي غربي نهر يالو . اما محادثات الهدنة الدائرة فقد تأجلت سبعة ايام ولا تزال مسألة تبادل اسرى الحرب تحول دون الوصول الى نتيجة .

٢٢ – صرح الاستاذ كامل الوكيل نائب رئيس مجلس الشيوخ بان الرئيس علي ماهر ابلغه ان الانقلاب العسكري الأخير يعتبر مجلس الشيوخ الحاضر غير موجود .

٢٣ – فشلت الدول الخمس الدائمة في مجلس الأمن الدولي ايضا في الوصول الى اتفاق بشأن قبول دول جديدة في عضوية الامم المتحدة .

دار الطباعة والنشر اللبنانية – بيروت
تليفون 98 - 35